

قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿

يقول تعالى أمرا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيلهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك وغبراهم بأنه من النهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ثم حشهم على الانفاق في طاعته فقال (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) فكل مفرط يندم عند الاحتضار وسأل طول المدة ولو شيئا يسيرا ليستعقب ويستدرك ما فاتته وهيبات ، كان ما كان أوتي ما هوأت ؟ وكل بحسب تفريطه ؛ أما الكفار فكما قال تعالى (وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتبغ الرسل ولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) وقال تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) . ثم قال تعالى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون) أي لا ينظر أحدا بعد حلول أجله . وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقا في قوله وسؤاله بمن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى (والله خير بما تعملون) . وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو جناب الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو يجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فأنما يسأل الرجعة الكفار فقال سألتوا عليك بذلك قرآنا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين - إلى قوله - والله خير بما تعملون) قال فما يوجب الزكاة ؟ قال إذا بلغ المال مائتين فصاعدا ؛ قال فما يوجب الحج . قال الزاد والبعير . ثم قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن الثوري عن يحيى بن أبي حية وهو أبو جناب الكلبي عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبي جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح ، وضعف أبا جناب الكلبي ﴿ قلت ﴾ ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن قتيب حدثنا سليمان بن عطاء عن مسعدة الجهني عن عمه يعني أبا مشجعة بن ربيعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال « إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية سالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره » . آخر تفسير سورة الناقين والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة التغابن وهي مدنية وقيل مكية ﴾

قال الطبراني حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكر الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد الخلال حدثنا الوليد بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن » أورده ابن عساكر في ترجمة الوليد بن صالح وهو غريب جدا بل منكر .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٠﴾

هذه السورة هي آخر المسبحات وقد تقدم الكلام على تسبيح الخلوقات لبارئها ومالكها ولهداياتها تعالى (له الملك وله الحمد) أي هو المتصرف في جميع الكائنات المحمود على جميع ما خلقه ويقدره وقوله تعالى (وهو على كل شيء قدير) أي مهما أراد كان بلا مناع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أي هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية بمن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزئهم بها أتم الجزاء ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون بصير) ثم قال تعالى (خلق السموات والأرض بالحق) أي بالعدل والحكمة (وصوركم فأحسن صوركم) أي أحسن أشكالكم كقوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك .) وكقوله تعالى (الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات) الآية وقوله تعالى (وإليه العصير) أي المرجع والمآب ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السمائية والأرضية والنفسية فقال تعالى (يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور)

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَدَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الأمم الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال تعالى (ألم يأتكم نبا الذين كفروا من قبل) أي خبرهم وما كان من أمرهم (فذاقوا وبال أمرهم) أي وخيم تكذيبهم وردى أفعالهم وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والحزى (ولهم عذاب أليم) أي في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدينوي ثم علل ذلك فقال (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالحجج والدلائل والبراهين (فقالوا أبشر يهدوننا) أي استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هدايم على يدى بشر مثلهم (فكفروا وتولوا) أي كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل (واستغنى الله) أي عنهم (والله غنى حميد)

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّفَافِينِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا صَدِيقًا حَسْبُ الْعَمَلِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار والمشركين والملاحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون (قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أي لتخبرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها (وذلك على الله يسير) أي بعثكم ومجازاتكم وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده فالأولى في سورة يونس (ويستنبؤنك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أتم بمعجزين) والثانية في سورة سبأ (وقال الدين كفروا لا تأتي الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) الآية والثالثة هي هذه (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى

لتعبثن ثم لتنبثون بما عملتم وذلك على الله يسير)
ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) يعنى القرآن (والله بما تعملون خبير) أى فلا تخفى عليه
من أعمالكم خافية وقوله تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع) وهو يوم القيامة سمى بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون
في صعيد واحد يسمهم الداعى وينفذهم البصر كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقال تعالى (قل
إن الأولين والآخريين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم)

وقوله تعالى (ذلك يوم التغابن) قال ابن عباس : هو اسم من أسماء يوم القيامة وذلك أن أهل الجنة يفتنون أهل النار
وكذا قال قتادة ومجاهد ، وقال مقاتل بن حيان لاغبين أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة وينذهب بأولئك إلى النار
قلت وقد فسر ذلك بقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس
المصير) وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿

يقول تعالى مخبرا بما أخبر به في سورة الحديد (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من
قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) وهكذا قال ههنا (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) قال ابن عباس بأمر الله
يعنى عن قدره ومشيبته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم) أى ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله
وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه . وعوضه عما فاتته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا وقد
يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعنى يهد قلبه
لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه

وقال الأعمش عن أبى ظبيان قال كنا عند علقمة ققرى عند هذه الآية (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) فسئل عن ذلك
فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم . رواه ابن جرير وابن أبى حاتم في تفسيرها ، وقال
سعید بن جبیر ومقاتل بن حیان (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعنى يسترجع يقول (إنا لله وإنا إليه راجعون)
وفى الحديث المتفق عليه « عجايب للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له
وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة حدثنا
الحارث بن يزيد عن على بن رباح أنه سمع جنادة بن أبى أمية يقول : سمعت عبادة بن الصامت يقول : إن رجلا أتى رسول
الله ﷺ فقال يا رسول الله أى العمل أفضل ؟ قال « إيمان بالله وتصديق به وجهاد فى سبيل الله » قال أريد أهون من
هذا يا رسول الله . قال « لا تنهم الله فى شىء قضى لك به » لم يخرجوه

وقوله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عندهم وزجر
ثم قال تعالى (فان توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين) أى إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم
ما حملتم من السمع والطاعة . قال الزهرى : من الله الرسالة وطى الرسول البلاغ وعلينا التسليم
ثم قال تعالى مخبرا أنه الأحد الصمد الذى لا إله غيره فقال تعالى (الله لا إله إلا هو وطى الله فليتوكل المؤمنون)
فالأول خبر عن التوحيد ومعناه معنى الطلب أى وحدوا الإلهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه ، كما قال تعالى (رب
المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلا)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفَرُوا

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنْ تَقَرَّضُوا لِلَّهِ
قَرْضًا حَسَنًا يُمْضِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد بمعنى أنه يلتصق به عن العمل الصالح
كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ولهذا
قال تعالى ههنا (فاحذروهم) قال ابن زيد يعني على دينكم ، وقال مجاهد (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) قال يحمل
الرجل على قطعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد
ابن خلف الصيدلاني حدثنا الفريابي حدثنا إسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه
الآية (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) قال فهو لاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا
أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأوا الناس قد قفوهوا في الدين فهموا أن يعاقبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا
فإن الله غفور رحيم) وكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن الفريابي وهو محمد بن يوسف به وقال حسن صحيح
ورواه ابن جرير والطبراني من حديث إسرائيل به وروى من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه وهكذا قال عكرمة
مولاه سواء وقوله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) يقول تعالى إنما الأموال والأولاد
فتنة أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، وقوله تعالى (والله عنده) أي يوم القيامة
(أجر عظيم) كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل السومة والأنعام والحراث ذلك متاع الدنيا الحياة والله عنده حسن المكاب) والتي بعدها ، وقال الإمام أحمد
حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول : كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطب فبجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قيصان أحمران يمسيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال « صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى
هذين الصبيين يمسيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد
به ، وقال الترمذي حسن غريب إنما نعرفه من حديثه ، وقال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجاهد
عن الشعبي حدثنا الأشعث بن قيس قال : قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة فقال لي « هل لك من
ولد ؟ » قلت : غلام ولد لي في مخرجي إليك من ابنة حمد ولوددت أن بمكانه سبع القوم فقال « لا تقولن ذلك فإن
فيهم قرعة عين وأجرا إذا قبضوا » ثم قال « ولئن قلت ذلك إنهم لحبينة محزنة » تفرد به أحمد وقال الحافظ أبو بكر
البيهقي حدثنا محمود بن بكر حدثنا أبي عن عيسى عن ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « الولد ثمرة القلوب وإنهم محبنة مبخلة محزنة » ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد ، وقال الطبراني حدثنا هاشم
ابن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري أن
رسول الله ﷺ قال « ليس عدوك الذي إن قتلك كان فوزا لك وإن قتلك دخلت الجنة ولكن الذي لعله عدو لك
ولذلك الذي خرج من صلبك ، ثم أعدى عدوك مالك الذي ملكت يمينك »

وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أي جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » . وقد قال بعض
الفسرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم إن هذه الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا

اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء هو ابن دينار عن سعيد بن جبير في قوله (اتقوا الله حتى تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) قال لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيسهم وتفرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفا على المسلمين (فاتقوا الله ما استطعتم) فنسخت الآية الأولى وروى عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقناة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقوله تعالى (واصبروا وأطيعوا) أى كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا يتخلفوا عما به أمرتم. ولا تركبوا ما عنه زجرتم وقوله تعالى (وألقوا خيرا لأنفسكم) أى وابتدوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوى الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم يكن خيرا لكم في الدنيا والآخرة وإن لا تفعلوا يكن شرا لكم في الدنيا والآخرة وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره في سورة الحشر وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة ، وقوله تعالى (إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم) أى مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين أن الله تعالى يقول : من يقرض غير ظالم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم في سورة البقرة (فيضاعفه له أضعافا كثيرة) (ويغفر لكم) أى ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال تعالى (والله شكور) أى يجزى على القليل بالكثير (حليم) أى يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) تقدم تفسيره غير مرة آخر تفسير سورة التباين والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الطلاق وهى مدنية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لَمَدَّتِهِنَّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا)

خو طب النبي ﷺ أولا تشريفا وتكريما ثم خاطب الأمة تبعا فقال تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لمدتهن) وقال ابن أبي حاتم محمد بن ثواب بن سعيد الهبارى ثنا أسباط بن محمد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لمدتهن) فقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهى من أزواجك ونسائك فى الجنة ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة فذكره مرسلا وقد ورد من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها

وقال البخارى ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهى حائض فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « ليراجعها ثم يسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بداله أن يطلقها فيطلقها طاهرا قبل أن يمسه تلك العدة التى أمر بها الله عز وجل » هكذا رواه البخارى ههنا وقد رواه فى مواضع من كتابه ومسلم ولفظه « فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء » ورواه أصحاب الكتب واللسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة وموضع استقصائها كتب الأحكام وأمس لفظ بورده ههنا ما رواه مسلم فى صحيحه من طريق ابن جرير أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع ، كيف ترى فى الرجل طلق امرأته حائضا؟ فقال طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال رسول الله ﷺ « ليراجعها - فردها وقال - إذا طهرت فليطلق أو يمكس » قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن) وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال الطهر من غير جماع، وروى عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر وقد جامعها فيه ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلتها تطليقة وقال عكرمة (فطلقوهن لعدتهن) العدة الطهر والقرء الحيضة أن يطلقها حبل مستيناً حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدرى حبلها أم لا، ومن ههنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملاً قد استبان حملها، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدرى أحملت أم لا ، وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها ، وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى (وأحصوا العدة) أي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المرأة فتنتهك من الأزواج (واتقوا الله ربكم) أي في ذلك . وقوله تعالى (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) أي في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضاً الخروج لأنها معتقة لحق الزوج أيضاً وقوله تعالى (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) أي لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو قلابة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والسدي وسعيد بن أبي هلال وغيرهم وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بنت على أهل الرجل وآدتهم في الكلام والفعال كما قاله أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أي شرائع ومخارم (ومن يتعد حدود الله) أي يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأمر بها (فقد ظلم نفسه) أي بفعل ذلك . وقوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) أي إنما بقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل ، قال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن فاطمة بنت قيس في قوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) قالت هي الرجعة ، وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثوري ، ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكنى للبتوة أي المقطوعة وكذا التوفى عنها زوجها ، واعتمدوا أيضاً على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو ابن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائبا عنها باليمن فأرسل إليها بذلك فأرسل إليها وكيله بشعير يعني نفقة فتسخطته فقال والله ليس لك علينا نفقة ، فأنت رسول الله ﷺ فقال « ليس لك عليه نفقة » ولمسلم « ولا سكنى » وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال « تلك امرأة يفشاها أصحابي اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك » الحديث . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال حدثنا يحيى بن سعيد ثنا مجالد ثنا عامر قال : قدمت المدينة فأبیت فاطمة بنت قيس فحدثتني أن زوجها طلقها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعته رسول الله ﷺ في سرية قالت : فقال لي أخوه اخرجني من الدار فقلت إن لي نفقة وسكنى حتى يحل الأجل قال : لا ، قالت فأبیت رسول الله ﷺ فقلت إن فلانا طلقني وإن أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة فقال له « مالك ولا بنت آل قيس ؟ » قال يا رسول الله إن أخي طلقها ثلاثاً جميعاً قالت : فقال رسول الله ﷺ « انظري يا بنت آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجني فانزلي على فلانة » ثم قال إنه يتحدث إليها « انزلي على ابن أم مكتوم فانه أعمى لا يراك » وذكر تمام الحديث .

وقال أبو القاسم الطبراني ثنا أحمد بن عبد الله البزار التستري ثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ثنا بكر بن بكار ثنا سعيد بن يزيد البجلي ثنا عامر الشعبي أنه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي وزوجها أبو عمرو ابن حفص بن المغيرة المخزومي فقالت: إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى وهو منطلق في جيش إلى اليمن بطلاق فسألت أولياءه النفقة على والسكنى فقالوا ما أرسل البينا في ذلك شيئا ولا أوصانا به فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى بطلاق فسألت أولياءه السكنى والنفقة على فقال أولياؤه لم يرسل البينا في ذلك بشيء فقال رسول الله ﷺ « إنما السكنى والنفقة للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة فإذا كانت لآنحل له حتى تنكح زوجا غيره فلا نفقة لها ولا سكنى » وكذا رواه النسائي عن أحمد بن يحيى الصوفي عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد وهو الأحسى البجلي الكوفي قال أبو حاتم الرازي هو شيخ يروي عنه

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾

يقول تعالى فإذا بلغت المعتدات أجلهن أى شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالكلية فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده (بمعروف) أى محسنا إليها في صحبتها، وإما أن يعزم على مفارقتها بمعروف أى من غير مقاطعة ولا مشامة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن

وقوله تعالى (وأشهدوا ذوى عدل منكم) أى على الرجعة إذا عزمتم عليها كما رواه أبو داود وابن ماجه عن عمران ابن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة ورجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد ، وقال ابن جريج كان عطاء يقول (وأشهدوا ذوى عدل منكم) قال لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجوع إلا شاهدا عدل كما قال الله عز وجل إلا أن يكون من عذر . وقوله تعالى (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى هذا الذى أمرناكم به من الاشهاد وإقامة الشهادة إنما يأمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر وأنه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة ، ومن ههنا ذهب الشافعى في أحد قوله إلى وجوب الاشهاد في الرجعة كما يجب عنده في ابتداء النكاح وقد قال بهذا طائفة من العلماء ومن قال بهذا يقول : إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الاشهاد عليها . وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) أى ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أى من جهة لا تخظر بباله قال الامام أحمد ثنا يزيد أنا كهمس بن الحسن ثنا أبو السليل عن أبي ذر قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) حتى فرغ من الآية ثم قال « يا أباذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتمهم » قال فجعل يتلوها ويردها على حتى نعست ثم قال « يا أباذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة ؟ » قلت إلى السعة والدعة أنطلق فأكون حمامة من حمام مكة قال « كيف تصنع إذا أخرجت من مكة ؟ » قال : قلت إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة ، قال « وكيف تصنع إذا أخرجت من الشام » قلت إذا والنهى بئتك بالحق أضع سيفى على عاتقى ، قال « أواخر من ذلك » قلت أواخر من ذلك ؟ قال تسمع وتطيع وإن كان عبدا جبشياً »

وقال ابن أبي حاتم ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا على بن عبيد ثنا زكريا عن عامر عن شبيب بن شكل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول إن أجمع آية في القرآن (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وإن أكبر آية في القرآن فرجا

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) وفي السنن حدثني مهدي بن جعفر ثنا الوليد بن مسلم عن الحكم بن مصعب عن محمد بن طلي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً وورقه من حيث لا يحتسب » . وقال طلي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) يقول ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال الربيع بن خيثم (يجعل له مخرجاً) أي من كل شيء ضاق على الناس ، وقال عكرمة من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجاً ، وكذا روى عن ابن عباس والضحاك ، وقال ابن مسعود ومسروق (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) يعلم أن الله إن شاء أعطى وإن شاء منع (من حيث لا يحتسب) أي من حيث لا يدري . وقال قتادة (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) أي من شبهات الأمور والكرب عند الموت (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من حيث يرجو ولا يأمل ، وقال السدي (ومن يتق الله) يطلق للسنة ، ويراجع للسنة ، وزعم أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عوف بن مالك الأشجعي كان له ابن وأن المشركين أسروه فكان فيهم وكان أبوه يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له « إن الله سيجمع لك فرجاً » فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً أن انقلت ابنه من أيدي العدو فمر بغنم من أغنام العدو فاستاقها فجاء بها إلى أبيه وجاء معه بغنم قد أصابه من الغنم فنزلت فيه هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً وورقه من حيث لا يحتسب) رواه ابن جرير ، وروى أيضاً من طريق سالم بن أبي الجعد مرسل نحوه . وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه ولا يرد القدر إلا الداء ولا يزيد في العمر إلا البر » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثوري به . وقال محمد بن إسحاق : جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أسراي عوف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تتكبر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله » وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القدر عنه فخرج فاذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل فاذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادى بالباب فقال أبوه: عوف ورب الكعبة فقالت أمه : واسواتاه وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القدر فاستبقا الباب والحادم فاذا عوف قد ملاً الفناء إبلا قص طي أبيه أمره وأمر الإبل فقال أبوه قفا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله عنها فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع بهما أحببت وما كنت صانعا بمالك » ونزل (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً وورقه من حيث لا يحتسب) رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم ثنا طلي بن الحسين ثنا محمد بن طلي بن الحسن بن سفيان ثنا إبراهيم بن الأشعث ثنا الفضيل بن عياض عن هشام بن الحسن عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ « من اتقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن اتقطع إلى الدنيا وكله الهباء » . وقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) قال الامام أحمد حدثنا يونس ثنا ليث ثنا قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا غلام إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد وابن طيبة به وقال حسن صحيح وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا بشير بن سلمان عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قننا أن لاتسهل حاجته ، ومن أنزلها بالله تعالى أتاه الله برزق عاجلاً . أو بعوت آجلاً » ثم رواه عن عبد الرزاق عن سفيان عن بشير عن سيار

أبي حمزة ثم قال وهو الصواب ، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق وقوله تعالى (إن الله بالغ أمره) أى منفذتضايه وأحكامه في خلقه بما يريد ويشاؤه (قد جعل الله لكل شيء قدرا) كقوله تعالى (وكل شيء عنده بمقدار)

﴿ وَاللَّيْ يَيْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّيْ لَمْ يَحِضْنَ وَأُزِلَتْ الْأَحْمَالُ أَجْلَهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظَمْ لَهُ أَجْرًا ﴾

يقول تعالى مبينا لعدة الآيسة وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها أنها ثلاثة أشهر عوضا عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلت على ذلك آية البقرة وكذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض ان عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى (واللاتي لم يحضن) ، وقوله تعالى (إن ارتبتم) فيه قولان (أحدهما) وهو قول طائفة من السلف كجهاد والزهرى وابن زيد أى إن رأين دما وشككنم في كونه حيضا أو استحاضة وارتبتم فيه (والقول الثاني) إن ارتبتم في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر ، وهذا مروى عن سعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر في المعنى واحتج عليه بما رواه عن أبي كريب وأبي السائب قال ثنا ابن ادريس انا مطرف عن عمرو ابن سالم قال قال أبي بن كعب يارسول الله ان عددا من عدد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال ، قال فأزل الله عز وجل (واللاتي يئسن من الحيض من نساكن إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ، ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق فقال : ثنا أبي ثنا يحيى بن المغيرة أنا جرير عن مطرف عن عمر بن سالم عن أبي بن كعب قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن ناسا من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية في البقرة في عدة النساء قالوا لقد بقي من عدة النساء عددم يذكرن في القرآن الصغار والكبار اللاتي قد انقطع منهن الحيض وذوات الحمل قال فأنزلت التي في النساء القصرى (واللاتي يئسن من الحيض من نساكن إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن) ، وقوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) يقول تعالى ومن كانت حاملا فمدتها بوضعه ولو كان بعد الطلاق أو اللوث بفواق ناقة في قول جمهور العلماء من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية الكريمة وكأوردت به السنة النبوية ، وقد روى عن علي وابن عباس رضى الله عنهم أنهما ذهبا في التوفى عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع والأشهر عملا بهذه الآية والتي في سورة البقرة وقال البخارى ثنا سعيد بن حفص ثنا شيان عن يحيى قال أخبرني أبو سلمة قال : جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال أقتنى في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس آخر الأجلين قلت أنا (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال أبو هريرة أنا مع ابن أخى - يعنى أباسلمة - فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها فقالت . قلت زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنسكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو السنابل فيمن خطبها ، هكذا أورد البخارى هذا الحديث ههنا مختصرا وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولا من وجوه أخر وقال الإمام أحمد : ثنا حماد بن أسامة أنا هشام عن أبيه عن السور بن محزمة ان سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهي حامل فلم تمكث إلا ليالى حتى وضعت فلما تملت من نفاسها خطبت فاستأذنت رسول الله ﷺ في النكاح فأذن لها ان تنكح فنكحت ورواه البخارى في صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه من طرق عنها كما قال مسلم بن الحجاج حدثني أبو الطاهر أنا ابن وهب حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان أبا كعب بن عمير بن عبد الله بن الأرقم الزهرى يأمره ان يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعمما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ، فسكبت عمر بن عبد الله بن عتبة ان أخبرته انها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدرا توفى عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها

بعد وفاته فلما تعلمت من نفاستها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بركك فقال لها مالي أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح إنك والله ما أنت بنا كح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسيت فأثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بالزواج ان بدالي ، هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصرا ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الأول عند هذه الآية ، وقال أبو سلمان بن حرب وأبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين قال كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الأجلين فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث عن عبد الله بن عتبة قال فضمزمتي بعض أصحابه قال محمد ففظنت له فقلت له إني لجرىء أن أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة قال فاستجيا وقال لكن عمه لم يقل ذلك فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثني بحديث سبيعة فقلت هل سمعت عن عبد الله فيها شيئا ؟ فقال كنا عند عبد الله فقال أجمعون عليها التخليط ولا تجعلون عليها الرخصة ؟ فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل ابن علي عن أيوب به مختصرا ، ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الأعلى عن خاله بن الحارث عن ابن عون عن محمد بن سيرين فذكره . وقال ابن جرير : حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر حدثني ابن شرملة الكوفي عن إبراهيم عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال : من شاء لعنته ما نزلت (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) إلا بعد آية التوفى عنها زوجها ، قال : وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت يريد بآية التوفى عنها (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريم به ، ثم قال ابن جرير : ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن عبيد ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : ذكر عند ابن مسعود آخر الأجلين فقال من شاء قامته بالله إن هذه الآية التي في النساء القصرى نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشر ثم قال : أجل الحامل أن تضع ما في بطنها . وقال ابن أبي حاتم ثنا أحمد بن سنان الواسطي ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال بلغ ابن مسعود أن عليا رضى الله عنه يقول آخر الأجلين فقال من شاء لعنته إن التي في النساء القصرى نزلت بعد البقرة (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الأعمش

وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني محمد بن أبي بكر التميمي أنا عبد الوهاب الثقفي حدثني المثنى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن أبي بن كعب قال قلت للنبي ﷺ (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) المطلقة ثلاثا أو المتوفى عنها زوجها ، فقال : هي المطلقة ثلاثا والتوفى عنها . هذا حديث غريب جدا بل منكر لأن في إسناده المثنى بن الصباح وهو متروك الحديث بمره ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود السلمي ثنا عمرو بن خالد يعني الحراني ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدري أم مشتركة أم مبهمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آية آية ؟ » قال (أجلهن أن يضعن حملهن) التوفى عنها والمطلقة ، قال نعم وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن موسى بن داود عن ابن لهيعة به ثم رواه عن أبي كريب أيضا عن مالك بن إسماعيل عن ابن عيينة عن عبد الكريم بن أبي المخارق أنه حدث عن أبي بن كعب قال : سألت رسول الله ﷺ عن (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال « أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها » عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أيا ، وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أى يسهل له أمره وييسره عليه ويجعل له فرجا قريبا ومخرجا عاجلا ثم قال تعالى (ذلك أمر الله أنزله إليكم) أى حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) أى يذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَنْصَرُوا مِنْ لِنَصِيْقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أَوْلَاتٍ حَمَلٍ فَأَتَقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِبَنَاتِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ

تَمَاسَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى * لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿١﴾

يقول تعالى أمرا عباده إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال (أسكنوهن من حيث سكنتم) أي عندكم (من وجدكم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني سعتكم حتى قال قتادة: إن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه وقوله تعالى (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) قال مقاتل بن حيان يعني يضجرها لتتقدي منه بما لها أو تخرج من مسكنه، وقال الثوري عن منصور عن أبي الضحى (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) قال يطلقها فإذا بقي يومان راجعها، وقوله تعالى (وإن كن أولات حمل فأفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف هذه في البائن إن كانت حاملا أشق عليها حتى تضع حملها قالوا بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملا أو حائلا، وقال آخرون بل السياق كله في الرجعيات وإيمانن على الاتفاق على الحامل وإن كانت رجعية لأن الحمل تطول مدته غالبا فاحتيج إلى النص على وجوب الاتفاق إلى الوضع ثلاثا يوم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة، ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل أم للحمل وحده؟ على قولين منصورين عن الشافعي وغيره ويتفرع عليها مسائل كثيرة مذكورة في علم الفروع

وقوله تعالى (فإن أرضعن لكم) أي إذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بن باقضاء عدتهن ولها حينئذ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه ولكن بعد أن تغذيه باللبأ وهو با كورة اللبن الذي لا قوام للمولود غالبا إلا به، فإن أرضعت استحققت أجر مثلها ولها أن تماقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجره ولهذا قال تعالى (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) وقوله تعالى (وااتمروا بينكم بمعروف) أي ولتسكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير أضرار ولا مضارة كما قال تعالى في سورة البقرة (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) وقوله تعالى (وان تماسرتم فسترضع له أخرى) أي وان اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجره الرضاع كثيرا ولم يجبهما الرجل إلى ذلك أو بذل الرجل قليلا ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها فلو رضيت الأم بما استؤجرت به الأجنبية فهي أحق بولدها. وقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) أي لينفق على المولود والده أو وليه بحسب قدرته (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه) كقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) روى ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا حكيم عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة فقيل إنه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام فبعث إليه بألف دينار وقال للرسول انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها؟ فما لبث أن لبس اللين من الثياب، وأكل أطيب الطعام، فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى تأول هذه الآية (لينفق ذو سعة من سعته) ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: ثنا هاشم بن يزيد الطبراني ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش أخبرني أبي أخبرني ضمضم بن زرعة عن عيسى بن عبيد بن أبي مالك الأشعري واسمه الحارث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية، وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - هم في الأجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله قال الله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) «هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقوله تعالى (سيجعل الله بعد عسر يسرا) وعدمه تعالى ووعدته حق لا يخلفه وهذه كقوله تعالى (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا). وقد روى الإمام أحمد حديثا يحسن أن نذكره ههنا فقال حدثنا هاشم بن القاسم ثنا عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب قال: قال أبو هريرة بينا رجل وامرأة في السلف الخالي لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائته قد أصابته مسغبة شديدة فقال لامرأته عندك شيء؟ قالت نعم أبشر أتاننا رزق الله فاستحبها فقال ويحك ابنتي إن كان عندك شيء قالت نعم هنيئة ترجو رحمة الله، حتى إذا طال عليه الطول قال ويحك قومي فابنتي إن كان عندك شيء فابنتي به فاني قد بلغت وجهت، قالت نعم،

الآن نفتح التور فلا تعجل فلما أن سكت عنها ساعة وتحيت أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قمت فنظرت إلى تنوري فقامت فنظرت إلى تنورها ملائ من جنوب الغنم ورحيها تطحنان فقامت إلى الرحي فنفضتها واستخرجت مافي تنورها من جنوب الغنم ، قال أبو هريرة فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد ﷺ «لو أخذت مافي رحيها ولم تنفضها لطحنتا إلى يوم القيامة»

وقال في موضع آخر ثنا أبو بكر عن هشام عن محمد وهو ابن سيرين عن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأت امرأته قامت إلى الرحي فوضعتها إلى التور فسجرت ثم قالت اللهم ارزقنا ، فنظرت ، فإذا الجفنة قد امتلأت ، قال وذهبت إلى التور فوجدته ممتلئا قال فرجع الزوج فقال أصبتم بعدى شيئا قالت امرأته نعم من ربنا فأم إلى الرحي فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ «أما إنه لو لم ترفعها لم تنزل تدور إلى يوم القيامة»

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾

يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه وعجزا عما حل بالأمة السالفة بسبب ذلك فقال تعالى (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) أي تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله (فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) أي منكرآ نظيما (فذاقت وبال أمرها) أي غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم (وكان عاقبة أمرها خسرا) * أعد الله لهم عذابا شديدا (أي في الدار الآخرة مع ما محل لهم من العذاب في الدنيا ثم قال تعالى بعد ما قص من خبر هؤلاء (فاتقوا الله يا أولى الألباب) أي الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولى الألباب (الذين آمنوا) أي صدقوا بالله ورسله (قد أنزل الله إليكم ذكر) يعني القرآن كقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله تعالى (رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات) قال بعضهم :رسولا منصوب على أنه بدل اشتغال وملابسة لأن الرسول هو الذي بلغ الله كره . وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعني تفسيره ولهذا قال تعالى (رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات) أي في حال كونها بيينة واضحة جلية (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) كقوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) وقال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) أي من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نورا لما يحصل به من الهدى كما سماه روحا لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا هدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) وقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثا على تعظيم ما شرع من الدين القويم (الله الذي خلق سبع سموات) كقوله تعالى إخبارا عن نوح أنه قال لقومه (ألم ترا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ؟) وقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) . وقوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) أى سبعا أيضا كما ثبت في الصحيحين « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » وفي صحيح البخارى « خسف به إلى سبع أرضين » وقد ذكرت طرقة وألفاظه وعزوه في أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الأرض وثقه الحمد والمنة ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجمة وأغرق في النزاع وخالف القرآن والحديث بلا مستند ، وقد تقدم في سورة الحديد عند قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ذكر الأرضين السبع وبعد ما بينهن وكشافة كل واحدة منهن خمسمائة عام ، وهكذا قال ابن مسعود وغيره وكذا في الحديث الآخر « ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة » . وقال ابن جرير ثنا عمرو بن علي ثنا وكيع ثنا الأعمش عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفرتم تكذيبكم بها ، وحدثنا ابن حميد ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي الأشعري عن جعفر بن أبي الغيرة الخزاعي عن سعيد بن جبيرة قال : قال رجل لابن عباس (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية فقال ابن عباس ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر . وقال ابن جرير ثنا عمرو بن علي ومحمد بن المثنى قالوا : ثنا محمد ابن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في هذه الآية (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال عمرو قال في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق . وقال ابن المثنى في حديثه في كل سماء إبراهيم ، وروى البيهقي في كتاب الأسماء والصفات هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال أنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن يعقوب ثنا عبيد بن غنام النخعي أنا علي بن حكيم ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس أنه قال (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى . ثم رواه البيهقي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله عز وجل (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام ثم قال البيهقي إسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمره لأبى الضحى عليه متابعا والله أعلم . قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه التفكير والاعتبار حدثني إسحاق بن حاتم المدائني ثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال « مالكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال « فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها يابضا - أو قال يابضا نورها - مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط » قالوا فأين الشيطان عنهم ؟ قال « ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق ؟ » قالوا أمن ولد آدم ؟ قال « لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق ؟ » وهذا حديث مرسل وهو منكر جدا وعثمان بن أبي دهرس ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك . آخر تفسير سورة الطلاق وثقه الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة التحريم وهي مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرَضَاتِ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ قَدْ قَرَضَ اللَّهُ

لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأُظْهِرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْ كُنَّ مُسَلِّمَتٍ مُؤْمِنَتٍ قِنَتٍ تَثَبَّتِ عِيدَتِ سُبْحَتِ تَيْبَتِ وَأَبْكَارًا ﴿

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة فقيل نزلت في شأن مارية وكان رسول الله ﷺ قد حرمها فنزل قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك؟ تبتغي مرضات أزواجك) الآية

قال أبو عبد الرحمن النسائي أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبي ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها فأنزل الله عز وجل (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلى آخر الآية. وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي! فجعلها عليه حراما فقالت: أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال! فحلف لها بالله لا يصيبها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قال زيد بن أسلم فقله أنت على حرام لغو وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال: قال لها «أنت على حرام والله لا أطوك» وقال سفيان الثوري وابن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم فعوتب في التحريم وأمر بالكفارة في اليمين رواه ابن جرير وكذا روى عن قتادة وغيره عن الشعبي نفسه وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقاتل بن حيان وروى العوفي عن ابن عباس القصة مطولة وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيى ثنا أبي ثنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان! قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة فقالت يا نبي الله لقد جئت إلى شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي قال «الأترضين أن أحرمها فلا أقربها» قالت بلى فحرمها وقال لها «لا تذكري ذلك لأحد» فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) تبتغي مرضات أزواجك) الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب جاريته وقال الهيثم بن كليب في مسنده ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال: قال النبي ﷺ لحفصة «لا تخبري أحدا وإن أم إبراهيم على حرام» فقالت أتحرم ما أحل الله لك اقال «فوالله لا أقربها» قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة قال فأنزل الله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وهذا إسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره، الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج. وقال ابن جرير أيضا حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائي قال كتب إلى يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول في الحرام يمين تكفرها وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) يعني أن رسول الله ﷺ حرم جاريته فقال الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) - إلى قوله - قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فكفر يمينه فصير الحرام يميناً. ورواه البخاري

عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير عن ابن حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الحرام يمين تكفر وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به وقال النسائي أنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي ثنا مخلد هو ابن يزيد ثنا سفيان عن سالم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال إني جعلت امرأتي على حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟) عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة ، تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ وقال الطبراني: ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قال حرم رسول الله ﷺ سريته ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاما أو شرابا أو ملبسا أو شيئا من المباحات وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة ، وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم عيها أو أطلق التحريم فيهما في قول فأما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري أنا حفص بن عمر العدني أنا الحكم بن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وهذا قول غريب والصحيح أن ذلك كان في تحريمه الغسل كما قال البخاري عند هذه الآية ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغاير إني أجد منك ريح مغاير . قال « لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا » (تبغى مرضاة أزواجك) هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ ، وقال في كتاب الأيمان والنذور : ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له « لا بل وشربت عسلا عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له إني أجد منك ريح مغاير أكلت مغاير فدخل على أحدهما النبي ﷺ فقالت ذلك له فقال « لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له » فنزلت (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ - إلى قوله تعالى - إن تنوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) لمائشة وحفصة (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) لقوله « بل شربت عسلا » وقال إبراهيم بن موسى عن هشام « ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا » وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه . ثم قال المغاير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة ، أغفر الرمث إذا ظهر فيه ، واحدها مغفور ويقال مغاير وهكذا قال الجوهري قال وقد يكون المغفور أيضا للعشر والثمام والسلم والطلح قال والرمث بالكسر مرعى من مراعى الابل وهو من الحمض قال والعرفط شجر من العضاء ينضح المغفور . وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والنذور ، ثم قال البخاري في كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبي المعراء ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنون من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ففرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولي أكلت مغاير فإنه سيقول لك لا فقولي له ما هذه الريح التي أجد فانه سيقول لك سقتي حفصة شربة عسل فقولي جرسن نخله العرفط وسأقول ذلك ، وقولي له أنت يا صفة ذلك ، قالت : تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أناديه بما أمرتني فرقامك ، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغاير؟ قال « لا » قالت فما هذه الريح التي أجد

منك ؟ قال « سقتني حفصة شربة عسل » قالت جرت نخله العرفط فلما دار إلى قلت نحو ذلك فلما دار إلى صفة قالت له مثل ذلك فلما دار إلى حفصة قالت له يارسول الله ألا أستقيك منه ؟ قال « لا حاجة لي فيه » قالت تقول سودة والله لقد حرمناه قلت لها اسكتي ، هذا لفظ البخاري . وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به وعن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة به وعنده قالت وكان رسول الله ﷺ يشد عليه أن يوجد منه الريح ، يعني الريح الحبيثة ولهذا قلن له أكلت مغاير لأن ريحها فيه شيء ، فلما قال « بل شربت عسلا » قلن جرت نخله العرفط أي رعت نخله شجر العرفط الذي صنعه للغاير فلماذا ظهر ريحه في العسل الذي شربته قال الجوهري جرت النحل العرفط تجرس إذا أكلته ومنه قيل للنحل جوارس قال الشاعر * تظل على الثراء منها جوارس * وقال الجرس والجرس الصوت الحفي ، ويقال سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله ، وفي الحديث « فيسمعون جرس طير الجنة » قال الأصمعي كنت في مجلس شعبة قال فيسمعون جرس طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر إلى فقال : خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن خالته عائشة وفي طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقته العسل وإن عائشة وحفصة توطأنا وتظاهرتا عليه فأنه أعلم . وقد يقال انهما واقعتان ولا بعد في ذلك إلا أن كونهما سببا لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم وما يدل على أن عائشة وحفصة رضی الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما) حتى حج عمر وحجبت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالادوة فبرز ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين : من المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما) فقال عمر : واعجبا لك يا ابن عباس ، قال الزهري : كره والله ما سأله عنه ولم يكنه قال هي عائشة وحفصة قال ثم أخذ يسوق الحديث قال : كنا معشر قريش قوما نقلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تعلمهم نسأؤهم فطلق نسأؤنا يتعلمن من نسائهم قال : وكان منزلي في دار أمية بن زيد بالعوالي ، قال فعضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ماتنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل قال . فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعين رسول الله ﷺ قالت سم ، قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل قالت : نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أتما من إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فاذا هي قد هلكت لاتراجعني رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئا وسليني من مالي ما بذاك ولا يرنك أن كانت جارتك هي أوسم — أي أجمل — وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك — يريد عائشة — قال وكان لي جار من الأنصار وكنا تتناوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأزل يوما فأتيتي بخبر الوحي وغيره وآتية بمثل ذلك ، قال وكنا نتحدث أن غسان تنعل الحيل لتزونا فنزل صاحبي يوما ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت إليه فقال : حدث أمر عظيم فقلت وما ذاك أجاءت غسان ، قال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنا حتى إذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت : أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أدري هو هذا معتزل في هذه الشربة ، فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج إلى فقال ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست عنده قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلى فقال فقد ذكرتك له فصمت ، فخرجت فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلى فقال : قد ذكرتك له ، فصمت ، فوليت

مدبراً فإذا السلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رمال حصير - قال الإمام أحمد : وحدثناه يعقوب في حديث صالح قال رمال حصير - وقد أثر في جنبه قلت : أطلقت يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلى وقال « لا » فقلت الله أكبر ولو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساتهم فغضبت على امرأتى يوماً فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ماتنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفئدة من إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يعرفنك أن كانت جارتك هي أو سم أو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستأنس يا رسول الله . قال « نعم » فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهب مقامة فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا وقال « أفي شك أنت يا ابن الخطاب . أولئك قوم عجبت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا » فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل . وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به ، وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبه له حتى خرج حاجباً فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له قال فوكت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم . هذا لفظ البخاري ولمسلم : من الرأتان اللتان قال الله تعالى (وإن تظاهرا عليه) قال عائشة وحفصة ثم ساق الحديث بطوله ومنهم من اختصره . وقال مسلم أيضاً حدثني زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار عن ممالك بن الوليد أبي زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه دخلت المسجد فإذا الناس يكتفون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب فقلت لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسكفة الشربة فناديت فقلت يا رباح استأذن لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم - إلى أن قال - فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت - وأحمد الله - بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي فنزلت هذه الآية آية التخير (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن) وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) فقلت أطلقتهن . قال « لا » فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فكنت أنا استنبطت ذلك للأمر ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم (وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر زاد الحسن البصري وعثمان ، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد (وصالح المؤمنين) قال علي بن أبي طالب .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن أبي عمر ثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين قال أخبرني رجل ثقة يرفعه إلى علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وصالح المؤمنين) قال « هو علي بن أبي طالب » إسناده ضعيف وهو منكر جدا وقال البخاري ثنا عمرو بن عون ثنا هشيم عن حميد عن أنس قال : قال عمر اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في البيرة عليه فقلت لمن (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن) فنزلت هذه الآية وقد تقدم أنه وافق القرآن في أما كن منها في نزول الحجاب ومنها في أسارى بدر ومنها قوله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى

فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا الأنصاري ثنا حميد عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرت بين أقول : لتكن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوليئدنه الله أزواجاً خيراً منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت : يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن . فأمسكت فأنزل الله عز وجل (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات ساجدات ثيبات وأبكاراً) وهذه المرأة التي ردها عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبتت ذلك في صحيح البخاري وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ثنا إسماعيل الجلي ثنا أبو عوانة عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) قال دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تخبري ، عائشة حتى أبشرك ببشارة ، إن أبك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا مت) فذهبت حفصة فأخبرت عائشة فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنباك هذا ؟ قال (نبأني العليم الخبير) فقالت عائشة لا أنظر إليك حتى تحرم مارية فحرمها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم) إسناده فيه نظر وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمة ، ومعنى قوله (مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات) ظاهر وقوله تعالى (ساجدات) أي صائمات قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعمر بن كعب القرظي وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو مالك وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وغيرهم . وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله (الساجدات) في سورة براءة ولفظه « وسياحة هذه الأمة الصيام » وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن (ساجدات) أي مهاجرات وتلاعبد الرحمن (الساجدون) أي المهاجرون والقول الأول وألوه أعلم

وقوله تعالى (ثيبات وأبكاراً) أي منهن ثيبات ومنهن أبكاراً ليكون ذلك أشهى إلى النفس فإن التنوع يبسط النفس ولهذا قال (ثيبات وأبكاراً) . وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا أبو بكر بن صدقة ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا عبد الله بن أبي أمية ثنا عبد القدوس عن صالح بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه (ثيبات وأبكاراً) قال وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يزوجه فالثيب آسية امرأة فرعون وبالأبكار مريم بنت عمران . وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مريم عليها السلام من طريق سويد بن سعيد ثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فمرت خديجة فقال : إن الله يقربها للسلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بهيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب من لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم . ومن حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال « يا خديجة إذا لقيت ضرائك فأقربيهن مني السلام » فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي . قال « لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلمت موسى » ضعيف أيضاً ، وقال أبو يعلى ثنا إبراهيم بن عرعرة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا يوسف بن شبيب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « أعلنت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلمت موسى وآسية امرأة فرعون » فقلت هيناً لك يا رسول الله ، وهذا أيضاً ضعيف وروى مرسل عن ابن أبي داود

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُفَرْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ

جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾

قال سفيان الثوري عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) يقول أدبوم
وعلموم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) يقول اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله
وأمرؤا أهليكم بالله كرتنجيكم الله من النار ، وقال مجاهد (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) قال اتقوا الله وأوصوا أهليكم
بتقوى الله وقال قتادة تأمرهم بطاعة الله وتنههم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فإذا
رأيت لله معصية فذعهم عنها وزجرتهم عنها ، وهكذا قال الضحاك ومقاتل : حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإيمانه
وعبيده مافرض الله عليهم ومانههم الله عنه . وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث
عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع
سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » هذا لفظ أبي داود وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى أبو داود من
حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال الفقهاء وهكذا في الصوم
ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق
وقوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) وقودها أي حطبها الذي يلقى فيها جثت بني آدم (والحجارة) قيل المراد
بها الأصنام التي تعبد لقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر
الباقر والسدي : هي حجارة من كبريت ، زاد مجاهد : أنثن من الجيفة ، وروى ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله ثم قال ثنا أبي
ثنا عبد الرحمن بن سنان المقرئ ثنا عبد العزيز — يعني ابن رواد — قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) وعنده بعض أصحابه وفيهم
شيخ فقال الشيخ : يارسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لصخرة
من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها » قال فوقع الشيخ مغشيا عليه فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده
فإذا هو حي فناداه قال « يا شيخ قل لا إله إلا الله » فقالها فبشره بالجنة قال : فقال أصحابه يارسول الله أمن بيننا ؟ قال
« نعم يقول الله تعالى (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) » هذا حديث مرسل غريب وقوله تعالى (عليها ملائكة
غلاظ شداد) أي طباعهم غليظة قد نزع من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله (شداد) أي تركيهم في غاية الشدة
والكثافة والنظر المزعج. كما قال ابن حاتم ثنا أبي ثنا سلمة بن شبيب ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ثنا أبي عن عكرمة
أنه قال إذا وصل أول أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربعمائة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كاللحة أنيابهم قد
نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة ، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين
قبل أن يبلغ منكب الآخر ثم يجدون على الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفا ثم يهون من باب
إلى باب خمسمائة سنة ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الأول حتى يتنوها إلى آخرها ، وقوله (لا يصون
الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) أي مهما أمرهم به تعالى يبادروا اليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على
فعله ليس بهم عجز عنه ، وهؤلاء الزبانية — عياذ بالله منهم — وقوله (يا أيها الذين كفروا لاتعتدوا اليوم إنما تجزون
ما كنتم تعملون) أي يقال للكفرة يوم القيامة لاتعتدوا فانه لا يقبل منكم ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون وإنما تجزون
اليوم بأعمالكم ، ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتوبوا إلى الله توبة نصوحا) أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات ،
وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدنات
قال ابن جرير ثنا ابن مثنى ثنا محمد ثنا شعبة عن سهاك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله

عنه يقول (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) قال يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه ، وقال الثوري عن سماك عن النعمان عن عمر قال التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه وقال أبو الأحوص وغيره عن سماك عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال : أن يتوب الرجل من العمل السيء ثم لا يعود إليه أبدا . وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله (توبة نصوحا) قال يتوب ثم لا يعود

وقد روى هذا مرفوعا فقال الامام أحمد ثنا علي بن عاصم عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود فيه » تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والموقوف أصح والله أعلم ، ولهذا قال العلماء : التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ماسلف منه في الماضي ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل ، ثم إن كان الحق لأدنى رداليه بطريقه . قال الامام أحمد ثنا سفيان عن عبد الكريم أخبرني زياد بن أبي مريم عن عبد الله بن مغفل قال دخلت مع أبي علي عبد الله بن مسعود فقال أنت سمعت النبي ﷺ يقول « الندم توبة ؟ » قال نعم وقال مرة : نعم سمعته يقول « الندم توبة » ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن سفيان بن عيينة عن عبد الكريم وهو ابن مالك الجزري به وقال ابن أبي حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثني الوليد بن بكير أبو جناب عن عبد الله بن محمد العبدى عن أبي سنان البصرى عن أبي قلابة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة ، منها نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك محارم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك محارم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك محارم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحا ، قال زر : قلت لأبي بن كعب فما التوبة النصوح ؟ فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال « هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبدا » . وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا عمرو بن علي ثنا عباد بن عمرو ثنا أبو عمرو بن العلاء سمعت الحسن يقول التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببتة وتستغفر منه إذا ذكرته ، فأما إذا جزم بالتوبة وصمم عليها فانها تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في الصحيح : « الاسلام يجب ما قبلها ، والتوبة تجب ما قبلها » . وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك إلى المات - كما تقدم في الحديث وفي الأثر - ثم لا يعود فيه أبدا . أو يكفي العزم على أن لا يعود في تكفير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضارا في تكفير ما تقدم لعموم قوله عليه السلام : « التوبة تجب ما قبلها ؟ » وللأول أن محتج بما ثبت في الصحيح أيضا « من أحسن في الاسلام لم يؤخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الاسلام أخذ بالأول والآخر » فإذا كان هذا في الاسلام الذي هو أقوى من التوبة فالنوبة بطريق الأولى والله أعلم

وقوله تعالى (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) وعسى من الله موجبة (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أى ولا يخزيهم معه يعنى يوم القيامة (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) كما تقدم في سورة الحديد (يقولون ربنا آتم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) قال مجاهد والضحاك والحسن البصرى وغيرهم هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المناققين قذطين . وقال الامام أحمد ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان عن رجل من بنى كنانة قال : صليت خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعت يقول « اللهم لا تخزني يوم القيامة » وقال محمد بن نصر الروزى : ثنا محمد بن مقاتل الروزى ثنا ابن المبارك أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أنه سمع أباذر وأبا الدرداء قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر بين يدي فأعرف أمي من بين الأمم وأنظر عن يميني فأعرف أمي من بين الأمم ، وأنظر عن شمالي فأعرف أمي من بين الأمم » فقال رجل يارسول الله : وكيف تعرف أمك من بين الأمم ؟ قال « غر محجلون

من آثار الطهور ولا يكون أحدهم كذلك غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسياهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسرى بين أيديهم »

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِن عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾

يقول تعالى أمار رسول الله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلح والقتال وهؤلاء باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) أى فى الدنيا (ومأواهم جهنم وبئس المصير) أى فى الآخرة ثم قال تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا) أى فى مخالطتهم للمسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدى عنهم شيئا ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلا فى قلوبهم ثم ذكر المثل فقال (امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) أى نبين رسولين عندهما فى صحبتها ليل ونهارا يؤا كلانها ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط (فخانتاهما) أى فى الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما فى الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئا ولا دفع عنهما محذورا ولهذا قال تعالى (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أى لكفرهما (وقيل) أى للمرأتين (ادخلا النار مع الداخلين) وليس المراد بقوله (فخانتاهما) فى فاحشة بل فى الدين فان نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع فى الفاحشة لحرمة الأنبياء كما قدمنا فى سورة النور ، قال سفيان الثورى عن موسى بن أبى عائشة عن سليمان بن قرم سمعت ابن عباس يقول فى هذه الآية (فخانتاهما) قال ما زلتا ، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه ، وقال العوفى عن ابن عباس قال كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدا أخبرت به أهل المدينة بمن يعمل السوء. وقال الضحاك عن ابن عباس ما بنت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتها فى الدين ، وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك وغيرهم وقد استدلل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذى بأثره كثير من الناس : من أكل مع مغفور له غفراه. وهذا الحديث لا أصل له وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ﷺ فى المنام فقال : يا رسول الله أنت قلت من أكل مع مغفور له غفر له ؟ قال : لا ولكنى الآن أقوله.

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِّنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانٌ مِّنَ الْقَنَاتِىنَ ﴾

وهذا مثل ضرب به الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال قتادة كان فرعون أعق أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضار امرأته كمر زوجها حين أطاعت ربهما ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه . وقال ابن جرير : ثنا إسماعيل بن حفص الإيلي ثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمي عن أبى عثمان النهدي عن سليمان قال كانت امرأة فرعون تمذب فى الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها فى الجنة ثم رواه عن عبيد بن محمد الهاربي عن أسباط بن محمد عن سليمان التيمي به . ثم قال ابن جرير

حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علي عن هشام الدستوائي ثنا القاسم بن أبي بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب
؟ فيقال غلب موسى وهارون فتقول آمنت برب موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة
تجدونها فان مضت على قولها فألقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهي امرأتى ، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء
فأبصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانزعجت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح ، فقولها (رب ابن
لى عندك بيتا فى الجنة) قالت العلماء اختارت الجار قبل الدار ، وقد ورد شىء من ذلك فى حديث مرفوع (ونجى من
فرعون وعمله) أى خلصنى منه فانى أبرأ إليك من عمله (ونجى من القوم الظالمين) وهذه المرأة هى آسية بنت مزاحم
رضى الله عنها . وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان
امرأة خازن فرعون ، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوق المشط من يدها فقالت تس من كفر بالله فقالت
لها بنت فرعون ولك رب غير أبى ؟ قالت ربي وربك ورب كل شىء الله فلطمتها بنت فرعون وضربتها
وأخبرت أباه فأرسل إليها فرعون فقال تعبدين ربا غيرى ؟ قالت نعم ربي وربك ورب كل شىء الله وإياه
أعبد ، فعذبها فرعون وأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات فكانت كذلك فأتى عليها
يوما فقال لها ما أنت منتبهة فقالت له ربي وربك ورب كل شىء الله فقال لها إني ذابح ابنك فى فيك إن
لم تفعلى فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها فى فيها ، وإن روح ابنها بشرها فقال لها أبرى يا أمه فان لك عند الله من
الثواب كذا وكذا فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوما آخر فقال لها مثل ذلك فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها الآخر
فى فيها فبشرها روحه أيضا وقال لها اصبرى يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا ، قال وصمعت امرأة فرعون
كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فأمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف
الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها فى الجنة لا امرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيمانا وبقينا وتصديقا
فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال لللاء ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها فقال لهم إنها تعبد
غيرى فقالوا له اقتلها فأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربه فقالت (رب ابن لى عندك بيتا
فى الجنة) فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها فى الجنة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها
وهى تضحك ، فقبض الله روحها فى الجنة رضى الله عنها . وقوله تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) أى حفظته
وصاتته ، والاحصان : هو العفاف والحرية (فنفخنا فيه من روحنا) أى بواسطة الملك وهو جبريل فان الله بعث إليها
فتمثل لها فى صورة بشر سوى وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه فى جيب درعها فزلت النفخة فولجت فى فرجها فكان
منه الحمل بيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أى بقدره وشرعه
(وكانت من القاتنين) قال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا داود بن أبى الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال :
خط رسول الله ﷺ فى الأرض أربعة خطوط وقال « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم فقال
رسول الله ﷺ « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية
بنت مزاحم امرأة فرعون » وقد ثبت فى الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الحمداى عن أبى موسى
الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون
ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد ذكرنا
طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها فى قصة عيسى بن مريم عليهما السلام فى كتابنا (البداية والنهاية) والله الحمد
والمنة وذكرنا ماورد من الحديث من أنها تكون هى وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام فى الجنة عند قوله
(نبيات وأبكارا) آخر تفسير سورة التحريم ، والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الملك وهى مكية)

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالوا : حدثنا شعبة عن قتادة عن عباس الجشمى عن أبى هريرة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى غفر له : تبارك الذي بيده الملك » ورواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة به ، وقال الترمذى هذا حديث حسن ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبي عبد الله القرشي النيسابوري القري الزاهد الفقيه أحد الثقات الذين روى عنهم البخارى ومسلم لكن في غير الصحيحين ، وروى عنه الترمذى وابن ماجه وابن خزيمة وعليه تفقه في مذهب أبي عبيد بن حريويه وخلق سوام ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب عن الزهري عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن رجلا من كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله إلا تبارك فلا وضع في حفرته أمه الملك فثارت السورة في وجهه فقال لها إنك من كتاب الله وأنا أكره مساءتك وإنى لا أملك لك ولاه ولا نفسى ضرا ولا نفعا فان أردت هذا به فانطلقى إلى الرب تبارك وتعالى فاشفعى له فتطلق إلى الرب فتقول يارب ان فلانا عمد إلى من بين كتابك فتعلمنى وتلانى أفتحرقة أنت بالنار وتمذبه وأنا في جوفه ؟ فان كنت فاعلا ذلك به فاعنى من كتابك ، فيقول أأراك غضبت ، فتقول وحق لى أن أعضب فيقول اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه قال فتجىء فترجى الملك فيخرج خاسف البال لم يحل منه شيء - قال - فتجىء فتضع فهاطلى فيه فتقول مرحبا بهذا الفم فربما تلاتى ومرحبا بهذا الصدر فربما وعانى ومرحبا بها تين القدمين فربما قامت ابى وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه » قال فلما حدث بهذا رسول الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد إلا تعلمها ومماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية .

قلت) وهذا حديث منكر جدا وفرات بن السائب هذا ضعفه الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخارى وأبو حاتم والدارقطنى وغير واحد وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري من قوله مختصرا وروى البيهقى في كتاب إثبات عذاب القبر عن ابن مسعود موقوفا ومر فورا ما يشهد لهذا وقد كتبناه في كتاب الجنائز (من الأحكام الكبرى) والله الحمد والمنة ، وقد روى الطبرانى والحافظ الضياء المقدسى من طريق سلام بن مسكين عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « سورة في القرآن خصامت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة : تبارك الذي بيده الملك » وقال الترمذى حدثه محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكرى عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لأحسب أنه قبر فاذا إنسان يقرأ سورة الملك : تبارك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي الباب عن أبي هريرة ، ثم روى الترمذى أيضا من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل ، وتبارك الذي بيده الملك ، وقال ليث عن طاوس يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة .

وقال الطبرانى حدثنا محمد بن الحسن بن عجلان الأصماني حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتى »

يعنى تبارك الذي بيده الملك ، هذا حديث غريب وإبراهيم ضعيف ، وقد تقدم مثله في سورة يس ، وقد روى هذا الحديث عبد بن حميد في مسنده بأبسط من هذا فقال حدثنا إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لرجل ألا تخفك بحديث تفرح به ا قال : بلى ، قال : اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعلها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارنها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار وينجى بها صاحبها من عذاب القبر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتى » .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ

فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ *
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿

يجد تعالى نفسه الكريمة ويخبر أنه بيده الملك أي هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى (وهو على كل شيء قدير) ثم قال تعالى (الذي خلق الموت والحياة) واستدل بهذه الآية من قال إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق ومعنى الآية أنه أوجد الخلاق من العدم ليلوم أي يخبرهم أيهم أحسن عملاً كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم) فسمى الحال الأول وهو العدم موتاً وسمى هذه النشأة حياة ولهذا قال تعالى (ثم يميتكم ثم يحييكم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل عن قتادة في قوله تعالى (الذي خلق الموت والحياة) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء » ورواه معمر عن قتادة ، وقوله تعالى (ليلوكم أيكم أحسن عملاً) أي خير عملاً كما قال محمد بن عجلان ولم يقل أكثر عملاً ثم قال تعالى (وهو العزيز الغفور) أي هو العزيز العظيم النبع الجذاب وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأتاب بعد ما عصاه وخالف أمره وإن كان تعالى عزيزاً هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز ثم قال تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقاً) أي طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض أو متفصلات بينهما خلافاً ، فيه قولان أحدهما الثاني كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره ، وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) أي بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا قال تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) أي انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) أي شقوق وقال السدي (هل ترى من فطور) أي من خروق ، وقال ابن عباس في رواية (من فطور) أي من وهاء ، وقال قتادة (هل ترى من فطور) أي هل ترى خللاً يا ابن آدم ؟ وقوله تعالى (ثم ارجع البصر كرتين) قال قتادة مرتين (ينقلب إليك البصر حاسناً) قال ابن عباس ذليلاً ؟ وقال مجاهد وقاتة صاغراً (وهو حسير) قال ابن عباس يعني وهو كليل ، وقال مجاهد وقاتة والسدي : الحسير المنقطع من الاعياء ، ومعنى الآية إنك لو كررت البصر مهما كررت لا تقلب إليك أي لرجع إليك البصر (حاسناً) عن أن يرى عيباً أو خللاً (وهو حسير) أي كليل قد انقطع من الاعياء من كثرة التكرار ولا يرى نقصاً ، ولما نفي عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح) وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت وقوله تعالى (وجعلناها رجوماً للشياطين) عاد الضمير في قوله وجعلناها على جنس المصابيح لا على عينها لأنه لا يرى بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها والله أعلم وقوله تعالى (وأعدنا لهم عذاب السعير) أي جعلنا للشياطين هذا الحزى في الدنيا وأعدنا لهم عذاب السعير في الآخرة كما قال تعالى في أول الصافات (إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظنا من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى الملا الأعلى) ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الحظفة أتبعه شهاب ثاقب) قال قتادة إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال خلقها الله زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَرْبِهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمٌ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُنْفُتُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَبِيدُ مِنَ الْفَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾

فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿

يقول تعالى (و) أعتدنا (للذين كفروا برهم عذاب جهنم وبئس المصير) أى بئس المال والنقلب (إذا اتفروا فيها سمعوا لها شهيقا) قال ابن جرير يعنى الصياح (وهى نفور) قال الثورى تعلى بهم كما يغلى الحب القليل فى الماء الكثير . وقوله تعالى (تسكاد تميز من الغيظ) أى تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا فى ضلال كبير) يذكر تعالى عدله فى خلقه وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) أى لو كانت لنا عقول نتنفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاعتراض به ولكن لم يكن لنا فهم نعى به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم قال الله تعالى (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البختري الطائى قال أخبرنى من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال « لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم » وفى حديث آخر « لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة »

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿

يقول تعالى مخبرا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبا عن الناس فيكف عن المعاصى ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أى تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت فى الصحيحين « سبعة يظلهم الله تعالى فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » فذكر منهم رجلا دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا طلوت بن عباد حدثنا عباد حدثنا الحارث بن عبيد عن ثابت عن أنس قال : قالوا يا رسول الله : إنا نكون عندك على حال فإذا فارقتك كنا على غيره قال « كيف أنتم وربكم ؟ » قالوا الله ربنا فى السر والعلاية ، قال « ليس ذلكم النفاق » لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فى فعله ، ثم قال تعالى منها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور) أى بما يخطر فى القلوب (ألا يعلم من خلق ؟) أى ألا يعلم الخالق ، وقيل معناه ألا يعلم الله مخلوقه ؟ والأول أولى لقوله (وهو اللطيف الخبير) ، ثم ذكر نعمته على خلقه فى تسخيرهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيا فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار فقال تعالى (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها) أى فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيتكم لا يجدى عليكم شيئا إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى (وكلوا من

رزقه) فالسعي في السبب، لا ينافي التوكل كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هيرة يقول إنه سمع أبا سهم الحبشاني يقول إنه سمع عمر بن الخطاب يقول إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خصا وتروح بطانا» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هيرة وقال الترمذي حسن صحيح، فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو السخر المسير المسبب (وإليه النشور) أي المرجع يوم القيامة. قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة: مناكبها أطرافها وفجاجها ونواحيها، وقال ابن عباس وقتادة أيضا: مناكبها الجبال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن حكيم الأزدى حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية (فامشوا في مناكبها) فقال لأم ولد له: إن علمت ما مناكبها فأنت عتيقة فقالت هي الجبال فسأل أبا الدرداء فقال: هي الجبال

﴿أَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ * وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾

وهذا أيضا من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يعلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا) وقال ههنا (أمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) أي تذهب وتجيء وتضطرب (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) أي ريحا فيها حصاب تدمغكم كما قال تعالى (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا) وهكذا توعدهم ههنا بقوله (فستعلمون كيف نذير) أي كيف يكون إنذارى وعاقبة من تخلف عنه وكذب به. ثم قال تعالى (ولقد كذب الذين من قبلهم) أي من الأمم السالفة والقرون الخالية (فكيف كان نكير) أي فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبتهم لهم، أي عظما شديدا ألما. ثم قال تعالى (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن) أي تارة يصفن أجنحتهن في الهواء وتارة تجمع جناحا وتنتشر جناحا (ما يمسكن) أي في الجوى (إلا الرحمن) أي بما سخرهن من الهواء من رحمته ولطفه (إنه بكل شيء بصير) أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته وهذه كقوله تعالى (أل يروا إلى الطير مسخرات في جوى السماء ما يمسكن إلا الله * إن في ذلك لآية لقوم يؤمنون)

﴿أَمِنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ * أَمِنَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ * أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾

يقول تعالى للشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصرا ورزقا منكرا عليهم فيما اعتقدوه ومخبرالمهم أنه

لا يحصل لهم ما أملوه فقال تعالى (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) أي ليس لكم من دونه من ولى ولا واق ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال تعالى (إن الكافرون إلا في غرور) . ثم قال تعالى (أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه) أي من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده أي لا أحد يعطى ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله عز وجل وحده لا شريك له أي وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال تعالى (بل لجوا) أي استمروا في طغيانهم وإفسادهم وضلالهم (في عتو ونفور) أي في معاندة واستكبار ونفور على إدارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه ، ثم قال تعالى (أمن يمشى مكباً على وجهه أهدى) أي أمن يمشى سويًا على صراط مستقيم) وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مكباً على وجهه أي يمشى منحنيًا لا مستويًا على وجهه أي لا يدرى أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال أهدى أهدى (أمن يمشى سويًا) أي منتصب القامة (على صراط مستقيم) أي على طريق واضح بين وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة ، فالؤمن يحشر يمشى سويًا على صراط مستقيم مفضً به إلى الجنة الفيحاء ، وأما الكافر فإنه يحشر يمشى على وجهه إلى نار جهنم (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم) الآيات أزواجهم أشباههم قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير حدثنا إسماعيل عن نعيم قال سمعت أنس بن مالك يقول قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم فقال « أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق (١) وقوله تعالى (قل هو الذي أنشأكم) أي ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً من كورا (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أي العقول والادراك (قليلاً ما تشكرون) أي قلما تستمعون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتنال أوامره وترك زواجه (قل هو الذي ذرأكم في الأرض) أي بشم ونشركم في أقطار الأرض وأرحاها مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم ، وحلاكم وأشكالكم وصوركم (وإليه تحشرون) أي تجمعون بعد هذا التفرق والشتات يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم . ثم قال تعالى مخبراً عن الكفار المنكرين للمعاد المستعدين وقوعه (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) أي متى يقع هذا الذي نخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق (قل إنما العلم عند الله) أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عز وجل لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه (وإنما أنا نذير مبين) أي وإنما على البلاغ وقد أدبته إليكم قال الله تعالى (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا) أي لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الأمر كان قريباً لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلمون ما لهم هناك من الشر أي فأحاط بهم ذلك وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب (وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وبداهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) ولهذا يقال لهم على وجه التبريع والتوبيخ (هذا الذي كنتم به تدعون) أي تستعجلون

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْمَلُونَ مَنْ هُوَ فِي صَلِّ مُبِينٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه (أرايتم إن أهلكني الله ومن معي) أورايتم من أورحنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم ، أي خلصوا أنفسكم فإنه لا معتمد لكم من الله إلا التوبة والالانابة والرجوع إلى دينه

(١) هنا يباين بالأسول ، والمحدث في صحيح البخارى في كتاب التفسير في سورة الفرقان من أنس بن مالك أيضا .

ولا ينفعكم وقوع ما تمنون لنا من العذاب والنكال فسواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم . ثم قال تعالى (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) أي آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم وعليه توكلنا في جميع أمورنا كما قال تعالى (فاعبده وترك عليه) ولهذا قال تعالى (فستعلمون من هو في ضلال مبين) أي منا ومنكم ولئن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة ، ثم قال تعالى إظهارا للرحمة في خلقه (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا) أي ذاهبا في الأرض إلى أسفل فلا ينال بالقووس الحداد ولا السواعد الشداد ، والعائر عكس التابع ولهذا قال تعالى (فمن يأتيكم بماء معين) أي نابع سائح جار على وجه الأرض ، أي لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل فمن فضله وكرمه أنه أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلعة والسكر، فله الحمد والمنة . آخر تفسير سورة القلم الحمد .

(تفسير سورة رن وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْتَبُونَ * وَإِنْ لَكَ لَأَجْرٌ آخِرٌ تَمُنُونَ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ * فَسْتَنْبِهُرُوا وَيُبْصِرُونَ * بَأْيَيْكُمْ الْمُفْتُونَ * إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة وأن قوله تعالى (ن) كقوله (ص ، ق) ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور وتحرير القول في ذلك بما أغنى عن إعادته هنا ، وقيل المراد بقوله (ن) حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان هو الثوري حدثنا سليمان هو الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال اكتب قال وماذا أكتب ، قال اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ، ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فانها لتفخر على الأرض وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن أبي معاوية عن الأعمش به وهكذا رواه شعبة وعمر بن فضيل ووکیع عن الأعمش به ، وزاد شعبة في روايته ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) وقد رواه شريك عن الأعمش عن أبي ظبيان أو مجاهد عن ابن عباس فذكر نحوه ، ورواه معمر عن الأعمش أن ابن عباس قال : فذكره ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس قال إن أول شيء خلق ربى عز وجل القلم ثم قال له اكتب فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه . وقد روى الطبراني ذلك مرفوعا فقال حدثنا أبو حبيب زيد بن الهدي الروزي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما خلق الله القلم والحوت قال للقلم اكتب قال ما أكتب ؟ قال كل شيء كائن إلى يوم القيامة » ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) فالنون الحوت ، والقلم القلم (حديث آخر) في ذلك رواه ابن عساکر عن أبي عبد الله مولى بنى أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له اكتب ، قال وما أكتب قال اكتب ما يكون - أو ما هو كائن - من عمل أو رزق أو أثر أو أجل فكتب ذلك إلى يوم القيامة فذلك قوله (ن والقلم وما يسطرون) ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ثم خلق العقل وقال وعزنى لأكلنك فيمن أحببت ولأقتنك من أبغضت »

وقال ابن أبي نجیح إن إبراهيم بن أبي بكر أخبره عن مجاهد قال كان يقال النون الحوت العظيم الذى تحت الأرض السابعة وقد ذكر البغوى وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوت صخرة

سكنها كغلاظ السموات والأرض وعلی ظهرها ثورله أربعون ألف قرن وعلی متته الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن والله أعلم ومن العجيب أن بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا حميد عن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأثاه فسأله عن أشياء قال إني سألتك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي ، قال ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه ؟ وما بال الولد ينزع إلى أمه ؟ قال « أخبرني بهن جبريل آتيا » قال ابن سلام فذاك عدو اليهود من الملائكة قال « أما أول أشراط الساعة فنار تحترق من المشرق إلى المغرب ، وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعته » ورواه البخاري من طرق عن حميد ورواه مسلم أيضا وله من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا وفي صحيح مسلم من حديث أبي أسماء الرحبي عن ثوبان أن حبرا سأل رسول الله ﷺ عن مسائل فكان منها أن قال فما تحترق يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة قال « زيادة كبد الحوت » قال فما غذؤهم على أرضها ؟ قال « ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها » قال فما شربهم عليه ؟ قال « من عين فيها تسمى سلسيلا » وقيل المراد بقوله (ن) لوح من نور . قال ابن جرير حدثنا الحسن بن شبيب المكتب حدثنا محمد بن زياد الجزري عن فرات بن أبي الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (ن) والقلم وما يسطرون) لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة » وهذا مرسل غريب ، وقال ابن جريج أخبرني أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام وقيل المراد بقوله (ن) دواة والقلم القلم قال ابن جرير حدثنا عبد الأطلی حدثنا أبو ثور عن معمر عن الحسن وقتادة في قوله (ن) قالوا هي الدواة ، وقد روى في هذا حديث مرفوع عريب جدا فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا أبو عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خلق الله النون وهي الدواة » وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب حدثنا أخى عيسى بن عبد الله حدثنا ثابت التيمي عن ابن عباس قال ، إن الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام ثم أزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم وخروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزانا للحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فإذا فنى الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل أتت الحفظة الحزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الحزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شيئا فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا قال فقال ابن عباس ألسم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهل يكون لا تستنسخ إلا من أصل وقوله تعالى (والقلم) الظاهر انه جنس القلم الذي يكتب به كقوله (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فهو قسم منه تعالى وتنبه لخلق على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ، ولهذا قال (وما يسطرون) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني وما يكتبون وقال أبو الضحى عن ابن عباس وما يسطرون أى وما يعملون وقال السدي وما يسطرون يعني الملائكة وما تكتب من أعمال العباد ، وقال آخرون بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف عام ، وأوردوا في ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى ابن سعيد القطان ويونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الواحد بن سليم السلي عن عطاء هو ابن أبي رباح حدثني الوليد بن عباد بن الصامت قال دعاني أبي حين حضره الموت فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال يارب وما أكتب ؟ قال اكتب القدر وما هو كائن إلى الأبد » وهذا الحديث قدره الامام أحمد من طرق عن الوليد بن عباد عن أبيه به ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به وقال حسن صحيح غريب ورواه أبو داود في كتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر عن

يحيى بن حسان عن ابن رباح عن إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي حفصة واسمه حبيش بن شريح الحبشى الشباني عن عبادة فذكره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي حدثنا علي بن الحسن بن شقيق أنبأنا عبد الله بن المبارك حدثنا رباح ابن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال « إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء » غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: والقلم ، يعني الذي كتب به الذكر وقوله تعالى (وما يسطرون) أى يكتبون كما تقدم

وقوله (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أى لست والله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك للكاذبون بما جنتهم به من الهدى والحق البين فنسبوك فيه إلى الجنون (وإن لك لأجراً غير ممنون) أى بل إن لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذى لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على أذاهم ، ومعنى غير ممنون أى غير مقطوع كقوله (عطاء غير مجذوذ) (فلهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع عنهم . وقال مجاهد غير ممنون أى غير محسوب وهو يرجع إلى ما قلناه وقوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) قال العوفي عن ابن عباس وإنك لعلى دين عظيم وهو الاسلام وكذلك قال مجاهد وأبو مالك والسدى والربيع بن أنس وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال عطية: لعلى أدب عظيم . وقال معمر عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن تقول كما هو فى القرآن . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله (وإنك لعلى خلق عظيم) ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ألسنت تقرأ القرآن ؟ قال بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقالت كان خلقه القرآن . هذا مختصر من حديث طويل . وقدرناه الامام مسلم فى صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتى فى سورة الزملى إن شاء الله تعالى وبه الثقة . وقال الامام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يونس عن الحسن قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن . وقال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بني سواد قال سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت أما تقرأ القرآن ! (وإنك لعلى خلق عظيم) قال : قلت حدثيني عن ذلك قالت صنعت له طعاما وصنعت له حفصة طعاما فقلت لجاريتى اذهبي فان جاءت هى بالطعام فوضعتة قبل فاطمى الطعام قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت وكان نطع قالت فجمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « اقتصوا - أو اقتصى شك أسود - ظرفا مكان ظرفك » قالت فما قال شيئا . وقال ابن جرير حدثنا عبيد بن آدم بن أبي إياس حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن بن سعد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقلت لها أخبريني بخلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ (وإنك لعلى خلق عظيم) ؟ . وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة رضى الله عنها فسألته عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا رواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي . ورواه النسائي فى التفسير عن إسحاق بن منصور عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح به

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلى فهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما قبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كائنت فى الصحيحين عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط ولا قال لىء فعلته لم فعلته ؟ ولا لىء لم أفعله إلا فعلته ؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ولا مست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطرأ

كان أطيّب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال البخارى حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا إبراهيم بن يونس عن أبيه عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير . والأحاديث في هذا كثيرة ولأبي عيسى الترمذى في هذا كتاب الشمائل

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده خادماً له قط ولا ضرب امرأة ولا ضرب يده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أسيرهما حتى يكون إتماً فإذا كان إتماً كان أبعد الناس من الاثم ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمت الله فيسكون هو ينتقم لله عز وجل وقال الإمام أحمد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إعما بشت لا تم صالح الأخلاق» تفرد به

وقوله تعالى (فستبصر ويبصرون بأيكم الفتون) أى فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم ، وهذا كقوله تعالى (سيعلمون غداً من الكذب الأشتر) ، كقوله تعالى (وإنا أوياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) قال ابن جرير قال ابن عباس فى هذه الآية ستعلم ويعلمون يوم القيامة وقال العوفى عن ابن عباس ، بأيكم الفتون أى المجنون وكذا قال مجاهد وغيره وقال قتادة وغيره بأيكم الفتون أى أولى بالشیطان ومعنى الفتون ظاهر أى الذى قد افتتن عن الحق وضل عنه وإنما دخلت الباء فى قوله أىكم لتدل على تضمين الفعل فى قوله (فستبصر ويبصرون) وتقديره فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم الفتون والله أعلم ثم قال تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو يعلم تعالى أى الفريقين منكم ومنهم هو المهتدى ويعلم الحزب الضال عن الحق

﴿ فَلَا تَطْعُ الْمَكْذِبِينَ * وَذُوا لَوْ تَدَهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَازٍ مَّشَاءَ بَنِمِيمٍ * مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأُولَٰئِينَ * سَدَسُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾

يقول تعالى كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم (فلا تطع المكذبين * ودوا لوتدهن فيدهنون) قال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون وقال مجاهد (ودوا لوتدهن) تركن إلى آلهتهم وترك ما أنت عليه من الحق ثم قال تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين) وذلك أن الكاذب لضعفه ومهاتته إنما يتقى بأيمانه الكاذبة التى يجترىء بها على أسماء الله تعالى واستعمالها فى كل وقت فى غير محلها قال ابن عباس : المهين الكاذب وقال مجاهد هو الضعيف القلب ، قال الحسن كل حلاف مكابر مهين ضعيف ، وقوله تعالى (هاز) قال ابن عباس وقاتدة يعنى الاغتيال (مشاء بنميم) يعنى الذى يمشى بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهى الحاقه وقد ثبت فى الصحيحين من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال « إنها ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » الحديث وأخرجه بقية الجماعة فى كتبهم من طرق عن مجاهد به وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن همام أن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة قتات » رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن إبراهيم به وحدثنا عبد الرزاق حدثنا الثورى عن منصور عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة قتات » يعنى تماماً وحدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد الأحول عن الأعمش حدثنى إبراهيم منذ نحو ستين سنة عن همام بن الحارث قال مر رجل على حذيفة فقيل إن هذا

يرفع الحديث إلى الأمراء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات » وقال أحمد حدثنا هشام حدثنا مهدي عن واصل الأحذب عن أبي وائل قال بلغ حذيفة عن رجل أنه يرم الحديث فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة نمام » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بخياركم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل » ثم قال « ألا أخبركم بشراركم المشاءون بالنجيمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العنت » ورواه ابن ماجه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم به وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم « خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنجيمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت »

وقوله تعالى (مناع للخير معتد أثيم) أى يمنع ما عليه وما لديه من الخير (معتد) فى تناول ما أحل الله له يتجاوز فيها الحد المشروع (أثيم) أى يتناول المحرمات ، وقوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) أما العتل فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع النوع وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن سعيد بن خالد عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » وقال وكيع « كل جواظ جعظرى مستكبر » أخرجاه فى الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبادود من حديث سفيان الثورى وشعبة كلاهما عن سعيد بن خالد وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن طي قال سمعت أبى يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » تفرد به أحمد قال أهل اللغة الجعظرى الفظ الغليظ والجواظ الجموع النوع وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم فقال « هو الشديد الخلق المصحح الأكل الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف » وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى العتل الزنيم » وقد أرسله أيضا غير واحد من التابعين . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأظى حدثنا أبو ثور عن معمر عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تسكى السماء من عبد أصبح الله جسمه ، وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا هضا (١) فكان للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم » وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم أن العتل هو المصحح الخلق الشديد القوى فى اللأكل والشرب والنكح وغير ذلك وأما الزنيم فقال البخارى حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عباس (عتل بعد ذلك زنيم) قال رجل من قريش له زئمة مثل زئمة الشاة ، ومعنى هذا أنه كان مشهورا بالسوء كشهرة الشاة ذات الزئمة من بين أخواتها ، وإنما الزنيم فى لغة العرب هو الدعى فى القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال ومنه قول حسان بن ثابت يعنى يذم بعض كفار قريش :

وأنت زنيم نيظ فى آل هاشم كما نيظ خلف الراكب القدح الفرد
وقال آخر : زنيم ليس يعرف من أبوه بنى الأم ذو حسب لثيم
وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطى حدثنا أسباط عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (زنيم)
قال : الدعى الفاحش اللثيم . ثم قال ابن عباس :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع
وقال العوفى عن ابن عباس : الزنيم الدعى ويقال الزنيم رجل كانت به زئمة يعرف بها ويقال هو الأخنس بن شريق
الثقفى حليف بنى زهرة ، وزعم أناس من بنى زهرة أن الزنيم الأسود بن عبد يغوث الزهرى وليس به ، وقال ابن أبي نجیح

(١) فى تفسير ابن جرير : مقضا .

عن مجاهد عن ابن عباس أنه زعم أن الزنيم الملحق بالنسب ، وقال ابن أبي حاتم حدثني يونس حدثنا ابن وهب حدثني سليمان بن بلال عن عبدالرحمن بن حرمة عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية (عتل بعد ذلك زنيم) قال سعيد: هو اللصق بالقوم ليس منهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عقبه بن خالد عن عامر ابن قدامة قال سئل عكرمة عن الزنيم قال هو ولد الزنا ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) قال يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء ، والزنماء من الشياه التي في عنقها هتان معلقتان في حلقها . وقال الثوري عن جابر عن الحسن بن سعيد بن جبير قال الزنيم الذي يعرف بالبشر كما تعرف الشاة بزئمتها والزنيم الملصق . رواه ابن جرير ، وروى أيضا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في الزنيم : نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم . قال وكانت له زئمة في عنقه يعرف بها قال : وقال آخرون كان دعيا

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس عن أبيه عن أصحاب التفسير قالوا هو الذي تكون له زئمة مثل زئمة الشاة ، وقال الضحاك كانت له زئمة في أصل أذنه ويقال هو اللثيم الملصق في النسب ، وقال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هو المريب الذي يعرف بالبشر ، وقال مجاهد الزنيم الذي يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة ، وقال أبو رزين الزنيم علامة الكفر ، وقال عكرمة الزنيم الذي يعرف باللثوم كما تعرف الشاة بزئمتها . والأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالبشر الذي يعرف به من بين الناس وغالبا يكون دعيا وله زنا فانه في الغالب يتسلط الشيطان عليه مالا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث « لا يدخل الجنة ولد زنا » وفي الحديث الآخر « ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبيه » وقوله تعالى (أن كان ذاملا وبيننا آياتنا قال أساطير الأولين) يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عز وجل وأعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين كقوله تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبيننا شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعودا * إنه فكر وقر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقى ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر) وقال تعالى ههنا (سنسمه على الخرطوم) قال ابن جرير سنين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمعة على الخراطيم ، وهكذا قال قتادة (سنسمه على الخرطوم) حين لا يفارقه آخر ما عليه ، وفي رواية عنه : سبها على أفه ، وكذا قال السدي وقال العوفي عن ابن عباس (سنسمه على الخرطوم) يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال ، وقال آخرون (سنسمه) صمة أهل النار يعني نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم ، حكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير ومال إلى أنه لا مانع . من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة وهو متجه ، وقد قال ابن أبي حاتم في سورة (عم يتساءلون) حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثني خالد بن سعيد عن عبد الملك بن عبد الله عن عيسى ابن هلال الصدي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن العبد يكتب مؤمنا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه ساخط ، وإن العبد يكتب كافرا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه راض ومن مات همازا لمازأ ملقبا للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين »

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَنْبِئُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا هَلْ إِذَا حَرَّ نَكْمُكُمْ إِن كُنْتُمْ صَرِيمِينَ * فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ *

وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخِيرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعظام من النعمة الجسيمة وهو بشة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالكذب والرد والمخاربة ولهذا قال تعالى (إنا بلوناكم) أي اختبرناهم (كما بلونا أصحاب الجنة وهي البستان الشتمل على أنواع الثمار والفواكه (إذ أقسموا ليصر منها مصبحين) أي حلفوا فيها بينهم ليجدن ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء (ولا يستثنون) أي فيما حلفوا به ، ولهذا حنهم الله في أيمانهم فقال تعالى (فظاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أي أصابتها آفة مماوية (فأصبحت كالصريم) قال ابن عباس أي كالليل الأسود وقال الثوري والسدي مثل الزرع إذا حصد أي هشيا يبسا . وقال ابن أبي حاتم . ذكر عن أحمد بن الصباح أنبأنا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم والمعاصي إن العبد ليدب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيء له » ثم تلا رسول الله ﷺ (فظاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم) قد حرموا خير جنتهم بذنوبهم (فتنادوا مصبحين) أي لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى الجنة فأتوا القطع (أن اغدو على حرتكم إن كنتم صارمين) أي تريدون الصرام قال مجاهد : كان حرتهم عنبا (فانطلقوا وهم يتخافتون) أي يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحدا كلامهم . ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى (فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) أي يقول بعضهم لبعض لا يمكنوا اليوم فقيرا يدخلها عليكم ؟ قال الله تعالى (وغدوا على حرد) أي قوة وشدة ، وقال مجاهد (وغدوا على حرد) أي جد ، وقال عكرمة على غيظ ، وقال الشعبي (على حرد) على المساكين ، وقال السدي (على حرد) أي كان اسم قريتهم حرد فأبد السدي في قوله هذا (قادرين) أي عليها فيما يزعمون ويرومون (فلما رأوها قالوا إنا لضالون) أي فلما وصلوا إليها وأثرفوا عليها وهي على الحالة التي قال الله عز وجل قد استحالت عن تلك النظارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا والطريق ولهذا قالوا (إنا لضالون) أي قد سلكنا إليها غير الطريق فتهانعنا قاله ابن عباس وغيره ، ثم رجعوا عما كانوا فيه وثيقنوا أنها هي فقالوا (بل نحن محرومون) أي بل هي هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب (قال أوسطهم) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة أي أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون ؟) قال مجاهد والسدي وابن جريج (لولا تسبحون) أي لولا تستثنون قال السدي وكان استثناءهم في ذلك الزمان تسيبها وقال ابن جرير هو قول القائل إن شاء الله ، وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينفع ولهذا قالوا (إنا كنا ظالمين) فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجناد فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب (قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) أي اعتدينا وبغينا وطفينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون) قيل رعبوا في بذلها لهم في الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة والله أعلم ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن ، قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء . وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبوم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب . وقد كان أبوم يسير

فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما يحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل ، فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحق إذ كان يصرف من هذه شيئا للفقراء ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء ، قال الله تعالى (كذلك العذاب) أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوى الحاجات وبدل نعمة الله كفرا (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهي عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * أُنْفَجِلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَسَاتِحٌ لَكُمْ لَسَاتِحٌ * سَلَّمْتُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقض نعيمها ثم قال تعالى (أنفجعل المسلمين كالمجرمين ؟) أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ولهذا قال (ما لكم كيف تحكمون) أي كيف تظنون ذلك ؟

ثم قال تعالى (أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون) يقول تعالى أقبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكما مؤكدا كما تدعونه ؟ (إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟ إن لكم لما تحكمون) أي أم لكم ما تريدون وتشتهون (سلمتم أيهم بذلك زعيم) أي قل لهم من هو التضمن للتكفل بهذا قال ابن عباس يقول أيهم بذلك كفيل (أم لهم شركاء) أي من الأصنام والأنداد (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَشَعَةَ أَبْصَارُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ * فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أُجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴾

لما ذكر تعالى : أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم . بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى : (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأحوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام . وقد قال البخاري ههنا حدثنا آدم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال سمعت النبي ﷺ يقول « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود نظره طبقا واحدا » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور ، وقد قال عبده بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس (يوم يكشف عن ساق) قال هو يوم القيامة يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن مسعود أو ابن عباس - الشك من ابن جرير - (يوم يكشف عن ساق) قال عن أمر عظيم كقول الشاعر * شالت الحرب عن ساق *

وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الأمر ، وقال ابن عباس : هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة ، وقال ابن جرير عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الأمر وجده . وقال طلي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يكشف عن ساق) هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (يوم يكشف عن ساق) يقول حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال ، وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، ثم قال حدثني أبو زيد عمر بن شعبة حدثنا هارون بن عمر الخزومي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال « يوم يكشف عن ساق يعني عن نور عظيم يخرقون له سجدا » ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم والله أعلم ، وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) أي في الدار الآخرة باجرامهم وتكبرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون

ثم قال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) يعني القرآن ، وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه مني منه أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمدته في غيه وأنظره ثم أخذه أعز يزمتدر ، ولهذا قال تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر إهانة كما قال تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنيان نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتجنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) ولهذا قال ههنا (وأملئ لهم إن كيدي متين) أي وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكرى بهم ولهذا قال تعالى (إن كيدي متين) أي عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله تعالى ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) وقوله تعالى (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ؟ * أم عندهم الغيب فهم يكتبون) تقدم تفسيرهما في سورة الطور ، والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جنتهم به بمجرد الجهل والكفر والعداوة ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْ لَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى (فاصبر) يا محمد طي أذى قومك لك وتكذيبهم فان الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولاتباعك في الدنيا والآخرة (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبا على قومه فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم ومماعه تسيح البحر بما فيه للعلی القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) قال الله تعالى (فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك نجى المؤمنين) . وقال تعالى (فلولا أنه كان من السبعين * لبث في بطنه إلى يوم يبعثون) وقال ههنا (إذ نادى وهو مكظوم) قال ابن عباس ومجاهد والسدي : وهو مغموم ، وقال عطاء الخراساني وأبو مالك . مكروب ، وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال (لا إله

إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) خرجت الكلمة عن حول العرش فقالت الملائكة يارب: هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا، قالوا لا، قال هذا يونس، قالوا يارب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة قال نعم، قالوا أفلا ترحم ما كان يعمل في الرخاء فتنتجه من البلاء. فأمر الله الحوت فألقاه بالمراء ولهذا قال تعالى (فاجتبه ربه فجعله من الصالحين). وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ « لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقوله تعالى (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (ليزلقونك) لينفذونك (بأبصارهم) أي يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبعضهم إياك لولا وقاية الله لك وحماته إياك منهم ، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث الروية من طرق متعددة كثيرة

﴿ حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ﴾ قال أبو داود حدثنا سليمان بن داود العتكي حدثنا شريك ج وحدثنا العباس العنبري حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي قال العباس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لا رقية إلا من عين أو حمة أودم لا يرقأ » لم يذكر العباس العين وهذا لفظ سليمان

﴿ حديث بريدة بن الحصيب رضى الله عنه ﴾ قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا إسحاق ابن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن حصين عن الشعبي عن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ « لا رقية إلا من عين أو حمة » هكذا رواه ابن ماجه وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن منصور عن هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عامر الشعبي عن بريدة موقوفا وفيه قصة وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة قاله الترمذي. وروى هذا الحديث الإمام البخاري من حديث محمد بن فضيل وأبو داود من حديث مالك بن مغول والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ثلاثهم عن حصين عن عامر الشعبي عن عمران بن حصين موقوفا « لا رقية إلا من عين أو حمة »

﴿ حديث أبي ذر جندب بن جنادة رضى الله عنه ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة بن يزيد السامى حدثنا ديلم بن غزوان حدثنا وهب بن أبي دنى عن ابن حرب عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إن العين لتلوع الرجل باذن الله فيصاعد حلقا ثم يتردى منه) إسناده غريب ولم يخرجوه .

﴿ حديث حابس النجيمى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني حبة بن حابس النجيمى أن أباه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لاشئ في الهام والعين حق ، وأصدق الطيرة الفأل) وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي عن أبي غسان يحيى بن كثير عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال غريب . قال وروى سنان عن يحيى بن أبي كثير عن حبة بن حابس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قلت كذلك رواه الامام أحمد عن حسين بن موسى وحسين بن محمد عن شيبان بن أبي حبة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا بأس في الهام ، والعين حق وأصدق الطيرة الفأل » . ﴿ حديث ابن عباس رضى الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن دريد حدثني إسماعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق ، العين حق ، تستزل الحالمق » غريب .

﴿ طريق أخرى ﴾ قال مسلم في صحيحه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين وإذا استنسلتم فاغسلوا » انفرد به دون البخاري وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن النهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول « أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة . ومن كل عين لامة » ويقول « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام » أخرجه البخاري وأهل السنن من حديث النهال به .

﴿ حديث أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف رضى الله عنه ﴾ قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف قال مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال لم أر كالיום ولا جلد حبة فبالت أن لبط به فأتى به رسول الله ﷺ فقيل له أدرك سهلاً صريعاً قال « من تهمون به » قالوا عامر بن ربيعة قال « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ » إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة » ثم دعا بواء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى الرقبتين وركبتيه وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه قال سفيان قال معمر عن الزهري وأمر أن يكفأ الاناء من خلفه ، وقد رواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهري به ، ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضاً عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة ويكفأ الاناء من خلفه ، ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف عن أبيه به ومن حديث مالك أيضاً عن محمد بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه به .

﴿ حديث أبي سعيد الخدري ﴾ قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الانس فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ماسوى ذلك ورواه الترمذى والنسائي من حديث سعيد بن أبي ياسين عن مسعود الجريري به وقال الترمذى حسن

﴿ حديث آخر عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب حدثني أبو نضرة عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشتكيت يا محمد قال « نعم » قال باسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين تشنك والله يشفيك ، باسم الله أريقك . ورواه عن عفان عن عبد الوارث مثله ، ورواه مسلم وأهل السنن إلا أبا داود من حديث عبد الوارث به

وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فأتاه جبريل فقال : باسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك من كل حاسد وعين والله يشفيك ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوى عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد به ، قال أبو زرعة الرازى روى عبد الصمد ابن عبد الوارث عن أبيه عن عبد العزيز عن أبي نضرة وعن عبد العزيز عن أنس في معناه وكلاهما صحيح ﴿ حديث أبي هريرة رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أن أبا نعيم عن حماد بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن العين حق » أخرجه من حديث عبد الرزاق . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن علي عن الجريري عن مضارب بن حزن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العين حق » ففرد به ورواه أحمد عن إسماعيل بن علي عن سعيد الجريري به وقال الامام أحمد حدثنا ابن عمير حدثنا ثور يعنى ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » وقال أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت إذا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول « أصدق الطيرة الفأل ، والعين حق » ﴿ حديث أسماء بنت عميس ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقى قال : قالت أسماء يا رسول الله إن بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم قال « نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين » وكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به ، ورواه الترمذى أيضاً والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة عن أسماء بنت عميس به وقال الترمذى حسن صحيح ﴿ حديث عائشة رضى الله عنها ﴾ قال ابن ماجه حدثنا علي بن أبي الحبيب حدثنا وكيع عن سفيان ومسر عن معبد بن خالد عن عبد الله بن شداد عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تسترقى من العين . ورواه البخارى عن محمد بن كثير عن سفيان عن معبد بن خالد به ، وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسر كلاهما عن معبد به ثم قال ابن ماجه حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو هشام المخزومى حدثنا وهيب عن أبي واقد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « استعذوا بالله فان النفس حق » نورد به وقال أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جابر عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائث فيتوضأ ويغسل منه العين . قلت كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن سنان ان ابن حنينة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا (١) الهام ، والعين حق وأصدق الطيرة القائل »

« حديث سهل بن حنيف » قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ان أباه حدثه ان رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الحارث من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي ابن كعب وهو يغتسل فقال ما رأيت كالذي ولا جلد مخبأة فلبط سهل فأتى رسول الله ﷺ فقيل له يا رسول الله هل لك في سهل ! والله ما يرفع رأسه ولا يفيق ، قال « هل تهمون فيه من أحد ؟ » قالوا نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامراً فتغيط عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت ما يجيبك بركت ؟ - ثم قال - اغتسل له » فغسل وجهه ويديه ومرقبيه وركبتيه وأطراف رجله وداخلة إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القصد وراه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس ﴿ حديث عامر بن ربيعة ﴾ قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا وكيع حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عيسى عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف عن عبيد الله بن عامر قال انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الفسل قال فانطلقا يلتمسان الحجر قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت اليه فأصبته بعيني فنزل الماء يغتسل قال فسمعت له في الماء فرقة فأتيته فناديتي ثلاثاً فلم يجيني فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال جاء يمشي فخاض الماء فكأني أنظر إلى بياض ساقه قال فضرب صدره بيده ثم قال « اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها » قال فقام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يجبه فليرك فان العين حق » . ﴿ حديث جابر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البرزاني مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا طالب ابن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري ويقال له ابن الضجيع ضجيع حمزة رضي الله عنه حدثني عبد الرحمن بن جابر ابن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس » . قال البرزاني يعني العين قال ولا نعلم يروي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد قلت بل قد روي من وجه آخر عن جابر . قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن النضر الهروي المعروف بشكر في كتاب المعجائب وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة حدثنا الرمادي حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا علي بن أبي طي الهاشمي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « العين حق لتورد الرجل القبر والجل القدر وإن أكثر هلاك أمتي في العين » . ثم رواه عن شعيب بن أيوب عن معاوية بن هشام عن سفيان عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد تدخل العين في القبر وتدخل الجمل القدر » . وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه . ﴿ حديث عبد الله بن عمرو ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشيد بن ابن سعد عن الحسن بن ثوبان عن هشام بن أبي رقية عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق » تفرد به أحمد

﴿ حديث عن علي ﴾ يروي الحافظ ابن عساكر من طريق خيشمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فواقفه مغتبا فقال يا محمد ما هذا التعم الذي أراه في وجهك ؟ قال « الحسن والحسين أصابتهم عين » قال صدق بالعين فان العين حق أفلا عوذتكم بما هؤلاء الكلمات ؟ قال « وماهن يا جبريل ؟ » قال : قل اللهم ذا السلطان العظيم والذن القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين

من أنفس الجن وأعين الإنس فقالها النبي صلى الله عليه وسلم فقاما يلعبان بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم «عودوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويد فإنه لم يتعود المتعودون بمثله» قال الخطيب البغدادي تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الخطي من أهل تستر ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه . وقوله تعالى (ويقولون إنه لمجنون) أي يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بالسنتهم ويقولون إنه لمجنون أي لمحيثه بالقرآن قال الله تعالى (وما هو إلا ذكر للعالمين) آخر تفسير سورة ن والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الحاقة وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَمَنْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ * وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَةُ بِالْخَاطِئَةِ * فَمَعَصَا رَسُولِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً * إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتِ كُمُ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أذُنٌ وَعَايَةٌ ﴾

الحاقة من أسماء يوم القيامة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله أمرها فقال (وما أدراك ما الحاقة) ثم ذكر تعالى إهلاك الأمم الكاذبين بها فقال تعالى (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) وهي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي أسكتتهم هكذا قال قتادة الطاغية الصيحة وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد الطاغية الدنوب وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد إنها الطغيان وقرأ ابن زيد (كذبت ثمود بطغواها) وقال السدي فأهلكوا بالطاغية قال يعقوب عاقر الناقة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي باردة قال قتادة والسدي والربيع بن أنس والثوري (عاتية) أي شديدة الهبوب قال قتادة عنت عليهم حتى تقبت عن أفئدتهم وقال الضحاك (صرصر) باردة (عاتية) عنت عليهم بغير رحمة ولا بركة وقال طي وغيره عنت الحزنة فخرجت بغير حساب (سخرها عليهم) أي سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي كوامل متتابعات مشائم قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم حسوما متتابعات وعن عكرمة والربيع بن خثيم مشائم عليهم كقوله تعالى (في أيام نحسات) قال الربيع وكان أولها الجمعة وقال غيره الأربعاء ويقال إنها التي تسمى الناس الأعجاز ، وكان الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى (ترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) وقيل لأنها تكون في عجز الشتاء ويقال أيام العجوز لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فقتلتها الريح في اليوم الثامن ، حكاه البغوي والله أعلم

قال ابن عباس (خاوية) خربة وقال غيره بالية أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتا على أم رأسه فينشدخ رأسه وتبقى جسده هامة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان . وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى ابن الضريس العبدى حدثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض مطرنا فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة » وقال الثوري عن ليث عن مجاهد : الريح لها جناحان وذنب (فهل ترى لهم من باقية ؟) أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلقا ثم قال تعالى (وجاء

فرعون ومن قبله) قرىء بكسر القاف أى ومن عنده ممن فى زمانه من أتباعه من كفار القبط ، وقرأ آخرون بفتحها أى ومن قبله من الأمم المشبهين له وقوله تعالى (والمؤتفات) وهم الأمم المكذبون بالرسول (بالخطاطة) وهى التكذيب بما أنزل الله قال الربيع (بالخطاطة) أى بالمعصية ، وقال مجاهد بالخطايا ولهذا قال تعالى (فعصوا رسول ربهم) وهذا جنس أى كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى (إن كل كذب الرسل فحق وعيد) ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع كما قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين) كذبت عاد المرسلين (كذبت ثمود المرسلين) وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) أى عظيمة شديدة ألحمة ، قال مجاهد رابية شديدة وقال السدى مهلكة

ثم قال تعالى (إنا لما طغى الماء) أى زاد على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود ، وقال ابن عباس وغيره طغى الماء كثر . وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح فى السفينة ، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته . قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهرا بن عن أبي سنان سعيد بن سنان عن غير واحد عن على بن أبى طالب قال لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدى ملك فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الحزان فطغى الماء على الحزان فخرج فذلك قوله تعالى (إنا لما طغى الماء) أى زاد على الحد بإذن الله (حملناكم فى الحارية) ولم ينزل شئ من الريح إلا بكيل على يدى ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الحزان فخرجت فذلك قوله تعالى (بريح صرصر عاتية) أى عنت على الحزان ولهذا قال تعالى ممتنا على الناس (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) وهى السفينة الجارية على وجه الماء (لنجعلها لكم تذكرة) عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه أى وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء فى البحار كما قال (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استوتيم عليه) وقال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقال قتادة : أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة ، والأول أظهر ولهذا قال تعالى (وتعبها أذن واعية) أى وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية ، قال ابن عباس : حافظة سامعة . وقال قتادة (أذن واعية) عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله ، وقال الضحاك (وتعبها أذن واعية) سمعتها أذن ووعت أى من له سمع صحيح وعقل رجيح ، وهذا عام فى كل من فهم ووعى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقي حدثنا زيد بن يحيى حدثنا على بن حوشب سمعت مكحولاً يقول : لما نزل على رسول الله ﷺ (وتعبها أذن واعية) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سألت ربي أن يجعلها أذن على » قال مكحول فكان على يقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً قط فنسيته وهكذا رواه ابن جرير عن على بن سهل عن الوليد بن مسلم عن على بن حوشب عن مكحول به وهو حديث مرسل . وقد قال ابن أبى حاتم أيضاً حدثنا جعفر بن محمد بن عامر حدثنا بشر بن آدم حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد يعنى والده أبى أحمد الزبيرى حدثنى صالح بن الهيثم سمعت بريدة الأسلمى يقول : قال رسول الله ﷺ لعلى « إني أمرت أن أدنيتك ولا أقصيتك وأن أعلمك وأن تعى وحق لك أن تعى » قال فنزلت هذه الآية (وتعبها أذن واعية) ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن داود الأعمى عن بريدة به ولا يصح أيضاً

﴿ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً * وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ نَرُضُّونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة وقد أكدتها ههنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد ، وقال الربيع: هي النفخة الأخيرة والظاهر ما قلناه ، ولهذا قال ههنا (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) أي فمدت مد الأديم العكاظي وتبدلت الأرض غير الأرض (فيومئذ وقعت الواقعة) أي قامت القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) قال سماك عن شيخ من بني أسد عن علي قال: تنشق السماء من الهجرة رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جريج هي كقوله (وفتحت السماء فكانت أبوابا) وقال ابن عباس متخرقة والعرش بمخائها (والملك على أرجائها) الملك اسم جنس أي الملائكة على أرجاء السماء قال ابن عباس على ما لم يه منها أي حافاتهما وكذا قال سعيد بن جبير والأوزاعي ، وقال الضحاك أطرافها وقال الحسن البصري أبوها ، وقال الربيع بن أنس في قوله (والملك على أرجائها) يقول على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض . وقوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء والله أعلم بالصواب ، وفي حديث عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب في ذكر حمله العرش أنهم ثمانية أو عال ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو السمع البصري حدثنا أبو قيلحي بن هانيء أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: حمله العرش ثمانية ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال كتب إلى أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ « أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعة مائة عام » وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات وقد رواه أبو داود في كتاب السنة من سننه حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » هذا لفظ أبي داود وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ثمانية صفوف من الملائكة قال: وروى عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك ، وكذا روى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس: ثمانية صفوف وكذا روى العوفي عنه وقال الضحاك عن ابن عباس الكرويون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة وقوله تعالى (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ولهذا قال تعالى (لا تخفى منكم خافية) وقد قال ابن أبي الدنيا أخبرنا إسحق بن إسماعيل أخبرنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أخف عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا علي بن رفاعة عن الحسن بن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فأخذ يمينه وأخذ بشماله » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به وقد رواه الترمذي عن أبي كريب عن وكيع عن علي بن علي عن الحسن بن أبي هريرة به ، وقد روى ابن جرير عن مجاهد بن موسى عن يزيد عن سليم بن حيان عن مروان الأصغر عن أبي وائل عن عبد الله قال: يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان معاذير وخصومات والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي فأخذ يمينه وأخذ بشماله ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسله .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْتَقٍ حِسَابِيَةَ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة يمينه وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه (هاؤم اقرءوا كتابيه) أي خذوا اقرءوا كتابيه لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات قال عبد الرحمن بن زيد معنى (هاؤم اقرءوا كتابيه) أي ها اقرءوا كتابيه وؤم زائدة كذا قال والظاهر أنها بمعنى ها كم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا بشر بن مطر الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم الأحول عن أبي عثمان قال : المؤمن يعطى كتابه يمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته فكما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرأها فيرح إليه لونه ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات قال فعند ذلك يقول : هاؤم اقرءوا كتابيه . وحدثنا أبي حدثنا إبراهيم ابن الوليد بن سلمة حدثنا روح بن عبادة حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل اللاتكة قال إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي أي يظهر سيئاته في ظهر صحيفته فيقول له أنت عملت هذا فيقول نعم أي رب ، فيقول له إنى لم أفضحك به وإنى قد غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرءوا كتابيه (إنى ظننت أنى ملاق حسايه) حين نجا من فضيخته يوم القيامة . وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يدنى الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله تعالى إنى سترتها عليك في دنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته يمينه ، وأما الكافر والمناق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين » وقوله تعالى (إنى ظننت أنى ملاق حسايه) أى قد كنت موقنا فى الدنيا أن هذا اليوم كانن لاجحة كما قال تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) قال الله تعالى (فهو فى عيشة راضية) أى مرضية (فى جنة عالية) أى رفيعة تصورها ، حسان حورها ، نعيمة دورها ، دائم حورها

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال سمعت أبا أمامة قال سألت رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتزاور أهل الجنة ، قال « نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلى تقصر بهم أعمالهم » وقد ثبت في الصحيح « إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » وقوله تعالى (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) قال البراء بن عازب أى قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريرته وكذا قال غير واحد قال الطبراني عن البري عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه الجنة عالية قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ » وكذا رواه الضياء فى صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يعطى المؤمن جوازا على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه الجنة عالية قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ » وقوله تعالى (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) أى يقال لهم ذلك تفضلا عليهم وامتنانا وإنعاما وإحسانا وإلا فقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اعموا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة » قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته منه وفضل »

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ * وَلَمْ أَدْرِمَا حِسَابِيَةَ * يَلَيْتَنِي كَانَتْ

الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهُ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ * خَذُوهُ فَغْلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلْوُهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ *
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غَسَلِينِ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطى أحدهم كتابه في العرصات بشماله فحينئذ يندم غاية الندم (فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسايه * يا ليتها كانت القاضية) قال الضحاك يعني مودة لا حياة بعدها وكذا قال محمد بن كعب والريبع والسدي وقال قتادة تمني الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه (ما أغنى عني ماله * هلك عني سلطانيه) أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه بل خلس الأمر إلى وحدي فلا معين لي ولا مجير فعندما يقول الله عزوجل (خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه) أي يأمر الزبانية أن تأخذنه عنفا من المحشر فتغله أي تضع الأغلال في عنقه ثم توردته إلى جهنم فتصليه إياها أي تغمره فيها . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو قال إذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك إن الملك منهم ليقول هكذا فيلقى سبعين ألفا في النار . وروى ابن أبي الدنيا في الأهوال أنه يتدره أربعمائة ألف ولا يبقى شيء إلا دقه فيقول مالي ولك فيقول: إن الرب عليك غضبان فكل شيء غضبان عليك ، وقال الفضيل بن عياض : إذا قال الرب عزوجل خذوه فغلوه ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه (ثم الجحيم صلوه) أي اغمره فيها ، وقوله تعالى (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) قال كعب الأخبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا ، وقال العوفي عن ابن عباس وابن جريج بذراع الملك وقال ابن جريج قال ابن عباس (فاسلكوه) تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى وقال العوفي عن ابن عباس يسلك في دبره حتى يخرج من منخره حتى لا يقوم على رجله وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن روضة مثل هذه وأشار إلى جمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها » وأخرجه الترمذي عن سويد بن سعيد عن عبد الله بن المبارك به وقال هذا حديث حسن . وقوله تعالى (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم ، فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله بأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقبض النبي ﷺ وهو يقول « الصلاة وما ملكت أيما نكم » وقوله تعالى (فليس له اليوم ههنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون) أي ليس له اليوم من يتقده من عذاب الله تعالى لآحميم وهو القريب ولا شفيح يطاع ، ولا طعام له ههنا إلا من غسلين قال قتادة : هو شر طعام أهل النار . وقال الريبع والضحاك هو شجرة في جهنم ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس قال ما أدري ما الغسلين ولكني أظنه الزقوم وقال شيبان بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الغسلين : الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال علي بن أبي طلحة عنه الغسلين صديد أهل النار .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا
مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا يَقُولِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿

يقول تعالى مقسماً مخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من الغيبات عنهم إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة فقال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم، أضافه إليه على معنى التبليغ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا أضافه في سورة التكوير إلى الرسول الملوكى (إنه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين) وهذا جبريل عليه السلام ، ثم قال تعالى (وما صاحبكم بمجنون) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (ولقد رآه بالأفق المبين) يعنى أن محمداً رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها (وما هو على الغيب بضنين) أى بمتهم (وما هو بقول شيطان رجيم) وهكذا قال ههنا (وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون) فأضافه الله تارة إلى قول الرسول الملوكى وتارة إلى الرسول البشرى لأن كلامهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ولهذا قال تعالى (تنزيل من رب العالمين) قال الإمام أحمد حدثنا أبو الغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقامت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجمعت أعجب من تأليف القرآن قال: قلت هذا والله شاعر كما قالت قريش ، قال قرأ (إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون) قال قلت كاهن ، قال قرأ (ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) إلى آخر السورة ، قال فوقع الاسلام فى قلبى كل موقع ، فهذا من جملة الأسباب التى جعلها الله تعالى مؤثرة فى هداية عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما أوردنا كيفية إسلامه فى سيرته المفردة والله الحمد والمنة

(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)

يقول تعالى (ولو تقول علينا) أى محمداً صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد فى الرسالة أو نقص منها أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لما جلناه بالعقوبة ، ولهذا قال تعالى (لأخذنا منه باليمين) قيل معناه لا نتقنا منه باليمين لأنها أشد فى البطش ، وقيل لأخذنا بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس وهو نياط القلب وهو العرق الذى القلب معلق فيه ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقتادة والضحاك ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد ، وقال محمد بن كعب : هو القلب ومراقه وما يليه . وقوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أى فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك . والمعنى فى هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله عز وجل مقرر له ما يلفه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات . ثم قال تعالى (وإنه لتذكرة للمتقين) يعنى القرآن كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) ثم قال تعالى (وإننا لنعلم أن منكم مكذبين) أى مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن . ثم قال تعالى (وإنه لحسرة على الكافرين) قال ابن جرير وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة . وحكاة عن قتادة بمثله وروى ابن أبى حاتم من طريق السدى عن أبى مالك (وإنه لحسرة على الكافرين) يقول لندامة ويحتمل عود الضمير على القرآن أى وإن القرآن والإيمان به لحسرة فى نفس الأمر على الكافرين كما قال تعالى (كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به) وقال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) ولهذا قال ههنا (وإنه لحق اليقين) أى الخبر الصدق الحق الذى لا مرية فيه ولا شك ولا ريب ثم قال تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) أى الذى أنزل هذا القرآن العظيم آخر تفسير سورة الحاقة والله الحمد والمنة .

مقدار مسيرة خمسمائة عام وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكيم بن سالم عن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد قوله لم يذكر ابن عباس . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا إبراهيم بن منصور حدثنا نوح المعروف عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس قال غلظ كل أرض خمسمائة عام وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام فذلك سبعة آلاف عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ﴿ القول الثاني ﴾ أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا عمرها خمسون ألف سنة وذلك عمرها يوم سبأها الله عز وجل يوما (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم) قال اليوم الدنيا ، وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحدكم مضى ولا كم بقي إلا الله عز وجل ﴿ القول الثالث ﴾ أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جدا . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا بهلول بن المورق حدثنا موسى ابن عبيدة أخبرني محمد بن كعب (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة ﴿ القول الرابع ﴾ أن المراد بذلك يوم القيامة . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال يوم القيامة وإسناده صحيح ورواه الثوري عن سمالك بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قيل لرسول الله ﷺ (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر العدائي قال كنت عند أبي هريرة ثم رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة : ردوه إلى فردوه فقال نبئت أنك ذومال كثير فقال العامري إي والله إن لي لمائة حمرا ومائة أدما حتى عد من ألوان الإبل وأنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال ماذا يا أبا هريرة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كانت له إبل لا يعطى حقها في نجسها ورسولها » قلنا يا رسول الله ما نجسها ورسولها ، قال « في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآثره حتى ييطح لها بقاع قرقر فتطؤه بأخفافها فاذا حاوزته أخرها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له بقرة لا يعطى حقها في نجسها ورسولها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآثره ثم ييطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتتطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عصباء إذا جاوزته أخرها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له غنم لا يعطى حقها في نجسها ورسولها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وآثره حتى ييطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتتطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عصباء إذ جاوزته أخرها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى

سبيله « فقال العامري وما حق الإبل يا أبهريرة ؟ قال أن تعطى الكريمة وتمنح الفزيرة وتفقر الظهر وتسمى الإبل وتطرق الفحل وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به ﴿ طريق أخرى لهذا الحديث ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمي عليها في نار جهنم فتسكوى بها جهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » وذكر بقية الحديث في التتم والإبل كما تقدم وفيه « الخيل لثلاثة رجل أجر ، ورجل ستر ، ورجل وزر » إلى آخره ورواه مسلم في صحيحه بتامه منفردا به دون البخاري من حديث سهل عن أبيه عن أبي هريرة وموضع استقصاء طرقة وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام ، والغرض من إيراد هنا قوله « حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن علي وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سألت رجل ابن عباس عن قوله (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فقال ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فاتهمه ، فقال إنما سألتك لتحدثني ، قالها يومان ذكرها الله ، الله أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم وقوله تعالى (فاصبر صبرا جميلا) أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستمجالهم العذاب استبعادا لوقوعه كقوله (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) ولهذا قال (إنهم يرونه بعيدا) أي وقوع العذاب . وقيام الساعة يراه الكفرة بعيدا لوقوع بمعنى مستحيل الوقوع (ونراه قريبا) أي المؤمنون يعتقدون كونه قريبا وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيماً * يُبْصِرُونَ مِنْهُمْ يَوْمَ * الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَحْبِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى * زُرَّاعَةٌ لِلشَّوَى * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين (يوم تكون السماء كالمهل) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد أي كدردي الزيت (وتكون الجبال كالعهن) أي كالصوف المنفوش قاله مجاهد وقاتادة والسدي ، وهذه الآية كقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) . وقوله تعالى (ولا يسأل حميم حميماً) أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره قال العوفي عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وهذه الآية السكرية كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق) وكقوله تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) وكقوله تعالى (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وكقوله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه * وأمّه وأبيه * وصاحبه وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقوله تعالى (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبه وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه * كلاً) أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الأرض ذهباً أو من ولده الذي كان في الدنيا حشافة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأحوال أن يفتدى من عذاب الله به ولا يقبل منه قال مجاهد والسدي (فصيلته) قبيلته وعشيرته ، وقال عكرمة فخذته الذي هو منهم وقال أشهب عن مالك : فصيلته أمه

وقوله تعالى (إنها لظى) يصف النار وشدة حرها (نزاعة للشوى) قال ابن عباس ومجاهد: جلدة الرأس، وقال العوفي عن ابن عباس (نزاعة للشوى) الجلود والمهام؛ وقال مجاهد مادون العظم من اللحم، وقال سعيد بن جبير: للعصب والعقب وقال أبو صالح (نزاعة للشوى) يعنى أطراف اليدين والرجلين وقال أيضا (نزاعة للشوى) لحم الساقين، وقال الحسن البصرى وثابت البناني (نزاعة للشوى) أى مكارم وجهه، وقال الحسن أيضا تحرق كل شئ فيه ويبقى فؤاده يصبح وقال قتادة (نزاعة للشوى) أى نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه. وقال الضحاك تبرئ اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا، وقال ابن زيد الشوى: الآراب العظام فقوله نزاعة قال تقطع عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم. وقوله تعالى (تدعو من أدبر وتولى) * وجمع فأوعى) أى تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها: وقدر لهم أنهم فى الدار الدنيا يعملون عملها فتدعوم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك أنهم كما قال الله عز وجل كانوا ممن أدبر وتولى أى كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه (وجمع فأوعى) أى جمع المال بعضه على بعض فأوعاه أى أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه فى النفقات ومن إخراج الزكاة. وقد ورد فى الحديث «ولا توعى فى وعى الله عليك» وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيسا ويقول سمعت الله يقول (وجمع فأوعى) وقال الحسن البصرى يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا. وقال قتادة فى قوله (وجمع فأوعى) قال كان جموعا قوما للخبيث

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَجْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ فِي جَهَنَّمَ مُكْرَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدينية (إن الإنسان خلق هلوعا) ثم فسره بقوله (إذا مسه الشر جزوعا) أى إذا مسه الضر فزع وانزع قلبه من شدة الرعب وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير (وإذا مسه الخير منوعا) أى إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي بن رباح سمعت أبي يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «شر ما فى رجل: شح هالع وجبن خالع» ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح عن أبي عبد الرحمن المقرئ به وليس لعبد العزيز عنده سواه. ثم قال تعالى (إلا المصلين) أى الإنسان من حيث هو متصف بصفات التمس إلا من عصمه الله ووقفه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون (الذين هم على صلواتهم دائمون) قيل معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها قاله ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعي، وقيل المراد بالهدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلواتهم خاشعون) قاله عتبة بن عامر ومنه للماء الدائم وهو الساكن الرائد، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة فى الصلاة فإن الذى لا يطمئن فى ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلواته لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح فى صلواته، وقيل المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه كما جاء فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ

أنه قال « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » وفي لفظ « ما داوم عليه صاحبه » قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملا داوم عليه ، وفي لفظ أثبتته ، وقال قتادة في قوله تعالى (الذين هم على صلاتهم دائمون) ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال يصلون صلاة لوصلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو نمود ما أخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فانها خلق للمؤمنين حسن

وقوله تعالى (والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم) أى فى أموالهم نصيب مقرر للدوى الحاجات ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة النذاريات . وقوله تعالى (والذين يصدقون بيوم الدين) أى يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجوا الثواب ويخاف العقاب. ولهذا قال تعالى (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون وجلون (إن عذاب ربهم غير مأمون) أى لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) أى يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فى غير ما أذن الله فيه ولهذا قال تعالى (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) أى من الإماء (فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقد تقدم تفسير هذا فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون) أى إذا أؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يهدروا ، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات النفاقين كما ورد فى الحديث الصحيح « آية النفاق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » وفى رواية « إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » وقوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قانعون) أى محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)

ثم قال تعالى (والذين هم على صلاتهم محافظون) أى على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) سواء ولهذا قال هناك (أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال ههنا (أولئك فى جنات مكرمون) أى مكرمون بأنواع اللذات واليسار

﴿ قَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْمَلُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ * فَذَرْنُهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ * يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرًّا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبِ يُوفِضُونَ * خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾

يقول تعالى منكرا على الكفار الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيدته الله به من المعجزات الباهرات ، ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه ، شاردون يمينا وشمالا فرقا فرقا ، وشيئا شيئا ، كما قال تعالى (فالهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة) الآية وهذه مثلها فانه قال تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين) أى فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين أى مسرعين نافرين منك كما قال الحسن البصرى مهطعين أى منطلقين (عن اليمين وعن الشمال عزين) واحدها عزة أى متفرقين وهو حال من مهطعين أى فى حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد فى أهل الأهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون فى الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب وقال العوفى عن ابن عباس (فما للذين كفروا قبلك

يستله أول . وهذا مروى عن مجاهد ويحيى بن أبي كثير ومسلم البطين وقناة والضحاك والربيع بن أنس وأبي صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم ، وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم) أى خاضعة (ترهقهم ذلة) أى فى مقابلة ما استكبروا فى الدنيا عن الطاعة (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) . آخر تفسير سورة سأل سائل ، والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة نوح عليه السلام وهى مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَقْتُواهُ وَأَطِيعُوا * يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه آمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم فان تابوا وأنبأوا رفع عنهم ولهذا قال تعالى (أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم * قال يا قوم إني لكم نذير مبين) أى بين النذارة ظاهر الأمر واضحه أن اعبدوا الله واتقوه أى اتركوا عماره واجتنبوا ما أمه (وأطيعون) فيها أمركم به وأنها كم عنه (يغفر لكم من ذنوبكم) أى إذا فعلتم ما أمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم ، ومن ههنا قيل إنها زائدة ولكن القول بزديتها فى الإثبات قليل ، ومنه قول بعض العرب : قد كان من مطر ، وقيل إنها بمعنى عن تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير ، وقيل إنها للتبويض أى يغفر لكم الذنوب العظيم التى وعدكم على ارتكابكم إياها الاتمام (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أى يمد فى أعماركم ويدبر عنكم العذاب الذى إن لم تحتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم ، وقد يستدل بهذه الآية من يقول إن الطاعة والبروصلة الرحم يزادها فى العمر حقيقة كما ورد به الحديث « صلة الرحم تزيد فى العمر » . وقوله تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) أى بادروا بالطاعة قبل حلول العقوبة فانه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع فانه العظيم الذى قد قهر كل شىء العزيز الذى دانت لعزته جميع المخلوقات

(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَفْسَفُوا نِيَابَهُمْ وَأَصْرَوْا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَرُوا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَجَعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَأَنْ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه وما صبر عليهم فى تلك المدة الطويلة التى هى ألف سنة إلا خمسين عاما وما بين قومه ووضع لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم فقال :

(رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا) أي لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالا لأمرك وابتغاء لطاعتك (فلم يزدتم دعائي إلا فرارا) أي كلما دعوتهم ليقربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم) أي سدوا آذانهم لئلا يسمعون ما أدعوم اليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش (وقال الذين كفروا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) (واستغشوا ثيابهم) قال ابن جرير عن ابن عباس تنكروا له لئلا يعرفهم . وقال سعيد بن جبير والسدي غطوا رؤسهم لئلا يسمعون ما يقول (وأصروا) أي استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع (واستكبروا استكبارا) أي واستنكفوا عن اتباع الحق والالتقاد له (ثم إني دعوتهم جهارا) أي جهرة بين الناس (ثم إني أعلنت لهم) أي كلاما ظاهرا بصوت عال (وأسرت لهم إسرارا) أي فيا بيني وبينهم فنوع عليهم الدعوة لتكون أجمع فيهم (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا) أي ارجعوا إليه وارجعوا عما أتم فيه وتوبوا إليه من قريب فإنه من تاب إليه تاب عليه ، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك ؛ ولهذا قال (فقلت أستغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا) أي متواصلة الأمطار ، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية وهكذا روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سعد المنبر ليستسقى فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا) ثم قال : لقد طلبت التيث بمجاديع السماء التي يستزل بها المطر . وقال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضا . وقوله تعالى (ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهار) أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأثبت لكم من بركات الأرض وأثبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها ، هذا مقام الدعوة بالترغيب ، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال (مالكم لا ترجون لله وقارا ؟) أي عظيمة قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك ، وقال ابن عباس لا تعظمون الله حق عظيمته أي لا تخافون من بأسه وقمته (وقد خلقكم أطوارا) قيل معناه من نظفة ثم من علقه ثم من مضغة قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدي وابن زيد . وقوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ؟) أي واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط ؟ أو هو من الأمور المدركة بالحس بما علم من التسيير والكسوفات فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة والربيع في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمشتريون منهم يقولون هو الكرسي والفلك التاسع وهو الأطلس والأثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهي من المغرب إلى الشرق ؛ وسائر الأفلاك عكسه من الشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعا ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فانها تسير من الغرب إلى الشرق ، وكل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة والشمس في كل سنة مرة وزحل في كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب اتساع أفلاكها وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة ، هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لنا بصدد بيانها وإعما المقصود أن الله سبحانه وتعالى (خلق سبع سموات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) أي فاوت بينهما في الاستنارة فجعله كلا منهما آتودجا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها ، وقدر للقمر منازل وبروجا وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهي ثم يشرع في النقص حتى يستسر ليدل على مضي الشهور والأعوام كما قال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) وقوله تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتا) هذا اسم مصدر والأتان به ههنا أحسن (ثم يعيدكم فيها) أي إذا متم (ويخرجكم إخراجا) أي يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة (والله جعل

لكم الأرض بساطاً) أى بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشاعحات (تسلكوا منها سبلاً فجاجاً) أى خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها وكل هذا مما ينبتهم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته فى خلق السموات والأرض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والأرض مهاداً وأوسع على خلقه من رزقه فهو الذى يجب أن يعبد ويوحى ولا يشرك به أحد لأنه لا نظير له ولا عدل له ولا ند ولا كفاء ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلى الكبير

﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه أنهى إليه وهو العليم الذى لا يعزب عنه شيء أنه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى أنهم عصوه وخالفوه وكذبوه واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بجمال وأولاد وهى فى نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام ولهذا قال (واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خساراً) قرىء وولده بالضم وبالفتح وكلاهما متقارب وقوله تعالى (ومكروا مكرًا كبيراً) قال مجاهداً كبيراً أى عظيماً ، وقال ابن زيد كبيراً أى كبير والعرب تقول أمر عجيب وعجاب وعجاب ، ورجل حسان وحسان وجمال وجمال بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ، والمعنى فى قوله تعالى (ومكروا مكرًا كبيراً) أى بأبغابهم فى تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة (بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجمل له أنداداً) ولهذا قال ههنا (ومكروا مكرًا كبيراً) وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوثاً ويعوقاً ونسراً) وهذه أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها من دون الله قال البخارى حدثنا إبراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج ، وقال عطاء عن ابن عباس صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد : أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ؛ وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لمحمدان وأما نسر فكانت لحجير لآل ذى كلاع وهى أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبثت . وكذا روى عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس هذه أصنام كانت تعبد فى زمن نوح وقال ابن جريج حدثنا ابن حميد حدثنا مهرا بن عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس (ويغوث ويعوق ونسرا) قال كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم ، وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة شيبث عليه السلام من طريق إسحاق بن بشر قال: أخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال : ولد لآدم عليه السلام أربعون ولداً عشرون غلاماً وعشرون جارية فكان ممن عاش منهم هايل وقايل وصالح وعبد الرحمن الذى كان سماه عبد الحارث ، وود وكان ويقال له شيبث ويقال له هبة الله وكان اخوته قد سودوه وولده له سواع ويغوث ويعوق ونسر وقال ابن حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو عمرو الدورى حدثنى أبو إسحاق المؤدب عن عبد الله بن مسلم بن هرم عن أبي حزره عن عروة بن الزبير قال : اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود ويغوث ويعوق وسواع وسر قال وكان ود أكبرهم وأبرهم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن أبى المطهر

قال ذكروا عند أبي جعفر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب ، قال فلما انتقل من صلاته قال: ذكروتم يزيد بن المهلب أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله ، قال ثم ذكروا رجلا مسلما وكان محببا في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فله رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديتكم فتذكرونه ؟ قالوا نعم فصور لهم مثله قال ووضعوه في ناديتهم وجعلوا يذكرونه؛ فلما رأى ما بهم من ذكره قال هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالا مثله فيكون له في بيته فتذكرونه قالوا نعم ، قال فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به قال وأدرك أبنائهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال وتناشوا ودرس أمر ذكروهم إياه حتى أخذته إلهما يعبدونه فمن دون الله أولاد أولادهم فكان أول ما عبد من دون الله : الصنم الذي صمونه ودا .

وقوله تعالى (وقد أضلوا كثيرا) يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا فانه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم ، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه (واجنبي وبني أن نعبد الأصنام * رب إني أضللت كثيرا من الناس) وقوله تعالى (ولا ترد الظالمين إلا ضلالا) دعاء منه على قومه لثردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون ومثله في قوله (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به

﴿ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾

يقول تعالى (مما خطبناهم) وقرى خطاياهم (أغرقوا) أي من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم (أغرقوا فأدخلوا نارا) أي تقوا من تيار البحار إلى حرارة النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أي لم يكن لهم معين ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله كقوله تعالى (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحدا ولا ديارا وهذه من صيغ تأكيد النفي قال الضحاك : ديارا واحدا وقال السدي : الديار الذي يسكن الدار فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه وقال (سأوى إلى جبل يصمى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وقال ابن أبي حاتم قرأ على يونس ابن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني شيب بن سعيد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل فلما بلغها الماء صعدت به منكبا فلما بلغ الماء منكبا وضعت ولدها على رأسها فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها يدها فلما رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة » هذا حديث غريب ورجاله ثقات ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه . وقوله تعالى (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك) أي إنك إن أبقيت منهم أحدا أضلوا عبادك أي الذين تخلقهم بعدهم (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) أي فاجرا في الأعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكته بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما ثم قال (رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين) قال الضحاك يعني مسجدي ، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أنبأنا سالم بن غيلان ان الوليد بن قيس التميمي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي » ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به ثم قال الترمذي

إنما نعرفه من هذا الوجه. وقوله تعالى (وللمؤمنين والمؤمنات) دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام وبما جاء في الآثار والأدعية المشهورة للشريعة، وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) قال السدي الإهلاك وقال مجاهد الإخسار أى في الدنيا والآخرة. آخر تفسير سورة نوح عليه السلام والله الحمد .

(تفسير سورة الجن وهي مكية)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْتَمْعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَفُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾

يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه واتقادوا له فقال تعالى (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدى إلى الرشدا) أى إلى السداد والنجاح (فآمنابه ولن نشرك بربنا أحدا) وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادته هنا

وقوله تعالى (وأنه تعالى جد ربنا) قال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (جد ربنا) أى فعله وأمره وقدرته وقال الضحاك عن ابن عباس جد الله آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه وروى عن مجاهد وعكرمة جلال ربنا وقال قتادة تعالى جلاله وعظمته وأمره ، وقال السدي تعالى أمر ربنا وعن أبى الورداء ومجاهد أيضا وابن جريج تعالى ذكره وقال سعيد بن جبير (تعالى جد ربنا) أى تعالى ربنا ، فأما مارواه ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عبدالله بن يزيد الكوفي حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال : الجد أب ولو علمت الجن أن فى الانس جدا ما قالوا تعالى جد ربنا فهذا إسناد جيد ولكن لست أفهم مامعنى هذا الكلام ولعله قد سقط شيء والله أعلم . وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أى تعالى عن اتخاذ صاحبة والأولاد ، أى قالت الجن : تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ صاحبة والولد ثم قالوا (وانه كان يقول سفيها على الله شططا) قال مجاهد وعكرمة وقاتادة والسدي (سفيها) يعنون إبليس (شططا) قال السدي عن أبى مالك (شططا) أى جورا ، وقال ابن زيد أى ظلما كبيرا ويحتمل أن يكون المراد بقولهم سفيها اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولدا ولهذا قالوا (وانه كان يقول سفيها) أى قبل إسلامه (على الله شططا) أى باطلا وزورا ولهذا قالوا (وانا ظننا أن لن نقول الانس والجن على الله كذبا) أى ما حسبنا أن الانس والجن يتأثون على الكذب على الله تعالى فى نسبة صاحبة والوالد إليه ، فلما معناه هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله فى ذلك ، وقوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون رجال من البرارى وغيرها كما كانت عادة العرب فى جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم شيء يسوءهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فى جوار رجل كبير وذمامه وخفارتة فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أى خوفا وإرهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم كما قال قتادة (فزادوهم رهقا) أى إنما ازدادت الجن عليهم بذلك جرأة ، وقال الثورى عن منصور عن إبراهيم (فزادوهم رهقا) أى ازدادت الجن عليهم جرأة . وقال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فى أى الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من

الجن أن أضر أنا فيه أو مالى أو ولى أو ما شئى ، قال قتادة : فاذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أنى حدثنا الزبير بن الحرث عن عكرمة قال كان الجن يفرقون من الإنسان كما يفرق الإنسان منهم أو أشد فكان الإنسان إذا نزلوا وادياهرب الجن فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا الوادى فقال الجن تراهم يفرقون منا كما تفرق منهم فدنا من الإنسان فأصابوهم بالحبل والجنون فذلك قول الله عز وجل (وأنه كان رجال من الإنسان يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أى إنما . وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم (رهقا) أى خوفا . وقال العوفى عن ابن عباس (فزادوهم رهقا) أى إنما وكذا قال قتادة . وقال مجاهد زاد الكفار طغيانا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن المقرء الكندى حدثنا القاسم بن مالك - يعنى المزنى - عن عبد الرحمن ابن إسحق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الأنصارى قال خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأوانا المبيت إلى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فقال : يا عامر الوادى جارك فنادى مناد لا تراه يقول يا سرحان أرسله . فأتى الحمل يشد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة (وأنه كان رجال من الإنسان يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) ثم قال وروى عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعى نحوه . وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنيا حتى يهرب الإنسان ويخاف منه ثم رده عليه لاستجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم ، وقوله تعالى (وانهم ظنوا كما ظنتم أن لن يبعث الله أحدا) أى لن يبعث الله بعد هذه الامة رسولا . قاله الكلبي وابن جرير .

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ
أَلَّا نَ يَجِدَ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدا ﷺ وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدري من الصادق ، وهذا من لطف الله تعالى بخلقهم ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قال الجن (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا (أى من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا رصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يحقه ويهلكه) وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا (أى ما ندري هذا الأمر الذى قد حدث في السماء لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل والخير أضافوه إلى الله عز وجل . وقد ورد في الصحيح « والشر ليس إليك » وقد كانت السكواكب يرمى بها قبل ذلك ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان كما في حديث العباس بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذا رمى بنجم فاستنار فقال « ما كنتم تقولون في هذا ؟ » فقلنا كنا نقول يولد عظيم ، يموت عظيم فقال « ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضى الأمر في السماء » وذكر تمام الحديث وقد أوردناه في سورة سبأ بتامه وهذا هو السبب الذى حملهم على تطلب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بأصحابه في الصلاة فعرفوا أن هذا هو الذى حفظت من أجله السماء فأمن من آمن منهم وتمرد في طغيانه من بقى كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الأحقاف (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) الآية ولا شك أنه لما حدث

هذا الأمر وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا أن ذلك لحراب العالم كما قال السدي لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبيا رسولا رجوا ليلة من الليالي ففرغ لذلك أهل الطائف فقالوا هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقدون أرقامهم ويسيون مواشيمهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني محمداً ﷺ وإن نظرتم فلم تروها فقد هلك أهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم ففرغت الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم فقال اتنوني من كل أرض بقبضة من تراب أمتهم فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائما يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم أسلموا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسوله ﷺ وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من كتاب السيرة (الطول والله أعلم والله الحمد ولله)

﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا * وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا * وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَأَمْنَا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْصَةَ وَلَا رَهَقًا * وَأَنَا مِنَ الْمَسْلُومِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَالْوَالِدُ أَنْتَقِمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقِيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا * لَنَنْقُتَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) أى غير ذلك (كنا طرائق قدا) أى طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة ، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كنا طرائق قدا) أى منا المؤمن ومنا الكافر وقال أحمد بن سليمان النجاد فى أماليه حدثنا الحسن بن أسلم بن سهل بحشل حدثنا على بن سليمان وهو أبو الشعثاء الحضرمي شيخ مسلم حدثنا أبو معاوية قال سمعت الأعمش يقول يقول تروح إلينا حتى قفلت له ما أحب الطعام إليكم فقال الأرز قال فأتيناهم به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا قفلت فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال نعم ، قفلت فما الراضة فيكم ؟ قال: شرنا. عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج اللزني فقال هذا إسناد صحيح إلى الأعمش ، وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد : قلوب براها الحب حتى تعقلت * مذاهبها في كل غرب وشارق تهبم بحب الله والله ربهها * معلقة بالله دوت الخلائق

وقوله تعالى (وأنا ظنننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا) أى نعلم أن قدرة الله حكمة علينا وأنا لا نعجزه في الأرض ولو أمعنا في الهرب فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به) يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة ، وقولهم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بحصا ولا رهقا) قال ابن عباس وقتادة وغيرهما فلا يخاف أن يتقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته كما قال تعالى (فلا يخاف ظلما ولا هضما) (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) أى منا المسلم ومنا القاسط وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف القاسط فإنه العادل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أى طلبوا لأنفسهم النجاة (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) أى وقودا تسعر بهم وقوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا * لنقتنهم فيه) اختلف المفسرون في معنى هذا على

قولين ﴿ أحدهما ﴾ وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها (لأستقيام ماء غدقا) أى كثيرا والراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من قوتهم ومن تحت أرجلهم) وكقوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وطى هذا يكون معنى قوله (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن أسلم لنفتنهم لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يتردد إلى الغواية ﴿ ذكر من قال بهذا القول ﴾ قال العوفي عن ابن عباس (وأن لو استقاموا على الطريقة) يعنى بالاستقامة الطاعة ، وقال مجاهد (وأن لو استقاموا على الطريقة) قال الإسلام وكذا قال سعيد ابن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدى ومحمد بن كعب القرظى ، وقال قتادة (وأن لو استقاموا على الطريقة) يقول لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا . وقال مجاهد (وأن لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الحق وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناها وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا فى قوله (لنفتنهم فيه) أى لنبتليهم به . وقال مقاتل نزلت فى كمار قريش حين منعوا المظرب سبع سنين . ﴿ والقول الثانى ﴾ (وأن لو استقاموا على الطريقة) الضلال (لأستقيام ماء غدقا) أى لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا كما قال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) وكقوله (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ؟) وهذا قول أبى جابر لاحق بن حميد فإنه قال فى قوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الضلالة رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وحكاها البغوى عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبى وابن كيسان وله اتجاه ويتأيد بقوله لنفتنهم فيه . وقوله (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صاعدا) أى عذابا مشقا شديدا موجعا مؤلما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقاتدة وابن زيد (عذابا صاعدا) أى مشقة لراحة معها، وعن ابن عباس : جبل فى جهنم وعن سعيد بن جبير : بئر فيها

﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُبَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا * حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَّاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾

يقول تعالى آمرا عباده أن يوحده فى محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة فى قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم ويجمعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يوحده وحده . وقال ابن أبى حاتم: ذكر طى بن الحسين حدثنا إسماعيل بن بنت السدى أخبرنا رجل سمع عن السدى عن أبى مالك أو أبى صالح عن ابن عباس فى قوله (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحد) قال لم يكن يوم نزلت هذه الآية فى الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت القدس وقال الأعمش قالت الجن يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات فى مسجدك فأنزل الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) يقول صلوا لا تخالطوا الناس . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبى خالد عن محمود بن سعيد بن جبير (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال : قالت الجن لنبى الله ﷺ كيف لنا أن نأتى المسجد ونحن ناءون ؟ أى بعيدون عنك ، وكيف نشهد الصلاة ونحن ناءون عنك ؟ فنزلت (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)

وقال سفيان عن خصيف عن عكرمة نزلت فى المساجد كلها ، وقال سعيد بن جبير نزلت فى أعضاء السجود أى هى

لله فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله بن طائوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم : على الجبهة - أشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين » ، وقوله تعالى (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال العوفي عن ابن عباس يقول لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) يستمعون القرآن . هذا قول وهو مروى عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن معمر حدثنا أبو مسلم عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قالوا لقومهم (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) وهذا قول ثان وهو مروى عن سعيد بن جبير أيضا ، وقال الحسن لما قام رسول الله ﷺ يقول لا إله إلا الله ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعا وقال قتادة في قوله (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليظفثوه فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه ، وهذا قول ثالث وهو مروى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد وهو اختيار ابن جرير وهو الأظهر لقوله بعده (قل إنما ادعوا ربى ولا أشرك به أحدا) أى قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليطلبوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته (إنما ادعوا ربى) أى إنما أعبد ربى وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه (ولا أشرك به أحدا) ، وقوله تعالى (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أى إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى وعبد من عباد الله ليس إلى من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم بل للرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل ، ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجره من الله أحد أى لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على اتقاضي من عذابه (ولن أجسد من دونه ملتحدا) قال مجاهد و قتادة والسدى لا ملجأ وقال قتادة أيضا (قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجسد من دونه ملتحدا) أى لا نصير ولا ملجأ وفي رواية لاولى ولا موئل

وقوله تعالى (إلا بلاغا من الله ورسالاته) قال بعضهم هو مستثنى من قوله (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إلا بلاغا) ويحتمل أن يكون استثناء من قوله (لن يجيرني من الله أحد) أى لا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغى الرسالة التى أوجب أداءها على كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله بصمك من الناس) . وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) أى أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبدا أى لا عييد لهم عنها ولا خروج لهم منها . وقوله تعالى (حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا) أى حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا ، هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى ؛ أى بل الشركين لا ناصر لهم بالسكينة وهم أقل عددا من جنود الله عز وجل

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبٌ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ لِيَجْعَلَ لِي رَبِّي أَمَدًا * عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدِ ابْتَلَوْنَا رُسُلَهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾

يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس إنه لا علم له بوقت الساعة ولا يدري أقرب وقتها أم بعيد (قل إن أدري أقرب ما توعدون أم يجعل لي ربي أمدا) أى مدة طويلة وفى هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذى

يتداوله كثير من الجهة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض كذب لأصل له ولم نره في شيء من الكتب وقد كان صلى الله عليه وسلم يسئل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي كان فيمأسأله أن قال يا محمد فأخبرني عن الساعة ؟ قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهورى فقال يا محمد متى الساعة قال « ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟ » قال أما إنى لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام ولكنى أحب الله ورسوله قال « فأنت مع من أحببت » قال أنس فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مضاء حدثنا محمد بن جبير حدثني أبو بكر بن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذى نفسى بيده إنما توعدون لآت » وقد قال أبو داود في آخر كتاب الملاحم حدثنا موسى بن سهل حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخنسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن تعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » انفرد به أبو داود ثم قال أبو داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنى لأرجو أن لا نعجز أمتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود

وقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول) هذه كقوله تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا بما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول) وهذا يعم الرسول المسمى والبشرى . ثم قال تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أى يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساقونته على مامعه من وحى الله ولهذا قال (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) وقد اختلف المفسرون في الضمير الذى فى قوله (ليعلم) إلى من يعود ؟ قيل إنه عائد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل (ليعلم) محمد صلى الله عليه وسلم (أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمى به . وهكذا رواه الضحاك والسدى ويزيد بن أبي حبيب . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قال ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها ، وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة واختاره ابن جرير ، وقيل غير ذلك كما رواه العوفى عن ابن عباس فى قوله (إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال هى معقبات من الملائكة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان حتى يتبين الذين أرسل إليهم وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وكذا قال ابن أبي نجیح عن مجاهد (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قال ليعلم من كذب الرسل ان قد أبلغوا رسالات ربهم وفى هذا نظر . وقال البغوى قرأ يعقوب (ليعلم) بالضم أى ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا . ويحتمل ان يكون الضمير عائدا إلى الله عز وجل وهو قول حكاة ابن الجوزى فى زاد السير ، ويكون المعنى فى ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) وكقوله تعالى (ولعلمن الله الذين آمنوا ولعلمن للنواقين) إلى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعا لاحتمال ، ولهذا قال بعد هذا (وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) . آخر تفسير سورة الجن وقته الحمد للنة .